

قصة
سيدنا موسى عليه السلام



obeikandi.com

١. من كنعان إلى مصر

انْتَقَلَ يَعْقُوبُ عليه السلام إِلَى مِصْرَ ، وَانْتَقَلَ مَعَهُ أَوْلَادُهُ .
انْتَقَلُوا إِلَى مِصْرَ ، لِأَنَّ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ هُوَ سَيِّدُ مِصْرَ ،
يَأْمُرُ وَيَنْهَى فِيهَا .

وَكَانُوا فِي كَنْعَانَ يَرْعَوْنَ الْغَنَمَ ، وَيَحْلِبُونَ الشَّاةَ وَيَبِيعُونَ الصُّوفَ .
وَعبِيدُ يُوسُفَ وَخَدَمُهُ يَأْكُلُونَ وَيَنْعَمُونَ فِي مِصْرَ .
فَمَا يَصْنَعُونَ فِي كَنْعَانَ ؟ وَلِمَاذَا لَا يَذْهَبُونَ إِلَى مِصْرَ ؟
أَرْسَلَ يُوسُفُ إِلَى يَعْقُوبَ وَأَهْلِهِ وَطَلَبَهُمْ مِنْ كَنْعَانَ .
وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ حَتَّى يَرَى أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ .
وَكَيفَ يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ ، وَكَيفَ يَطِيبُ لَهُ عَيْشٌ وَهُوَ وَحِيدٌ فِي
مِصْرَ ؟

وَمَاذَا يَصْنَعُ بِالْقُصُورِ وَأَبُوهُ وَإِخْوَتُهُ فِي بَيْتِ صَغِيرٍ فِي كَنْعَانَ ؟
وَجَاءَ يَعْقُوبُ وَأَوْلَادُهُ إِلَى مِصْرَ فَاسْتَقْبَلَهُمْ يُوسُفُ وَفَرِحَ بِهِمْ فَرَحًا عَظِيمًا ،
وَاسْتَقْبَلَتْ أُسْرَةَ سَيِّدِهَا وَأُسْرَةَ مَلِكِهَا الْكَرِيمِ وَفَرِحَتْ بِهَا فَرَحًا عَظِيمًا .
وَأَحَبَّ أَهْلُ مِصْرَ هَذَا الْبَيْتَ الْكَرِيمَ ؛ لِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ يُوسُفَ لِكَرَمِهِ
وَإِحْسَانِهِ إِلَى النَّاسِ .

وَلَأَنَّهُمْ رَأَوْا فِي يُوسُفَ أَخًا نَاصِحًا شَفِيقًا ، فَرَأَوْا فِي يَعْقُوبَ وَالِدًا مَاجِدًا
كَرِيمًا .

وَكَانَ يَعْقُوبُ كَبِيرَ الْبِلَادِ ، وَشَيْخَ مِصْرَ ، وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ لَهُ كَالْأَبْنَاءِ .

وَطَابَتْ لِيَعْقُوبَ وَأَبْنَائِهِ الْإِقَامَةُ فِي مِصْرَ ، وَصَارَتْ لَهُمْ وَطْنَا .

٢- بعد يوسف

وَبَعْدَ مُدَّةٍ مَاتَ يَعْقُوبُ فَحَزِنَ عَلَيْهِ يُوسُفُ وَحَزِنَ عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ .
وَدَفَنُوا الشَّيْخَ فِي مِصْرَ وَكَانَتْهُمْ فَقَدُوا آبَاهُمْ .
وَبَعْدَ مُدَّةٍ مَاتَ يُوسُفُ أَيْضًا فَكَانَ يَوْمًا عَلَى أَهْلِ مِصْرَ شَدِيدًا .
وَحَزِنَ عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ حُزْنًا شَدِيدًا وَبَكَوا بُكَاءً طَوِيلًا .
وَنَسِيَ النَّاسُ أَحْزَانَهُمْ ، وَكَانَتْهُمْ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ .
وَدَفَنُوا يُوسُفَ أَيْضًا وَعَزَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَكَانُوا فِي يُوسُفَ سَوَاءَ .
كُلُّ صَغِيرٍ فَقَدَ أَبَاهُ وَكُلُّ كَبِيرٍ فَقَدَ أَخَاهُ ، وَمَشَى النَّاسُ إِلَى إِخْوَةِ يُوسُفَ
وَأَبْنَائِهِمْ يُعْزُونَهُمْ .

وَيَقُولُونَ لَهُمْ : أَيُّهَا السَّادَةُ ! لَيْسَتْ خَسَارَتُكُمْ الْيَوْمَ أَكْبَرَ مِنْ خَسَارَتِنَا نَحْنُ .
فَقَدَ فَقَدْنَا فِي دَفِينِ الْيَوْمِ أَحَا شَفِيفًا ، وَسَيِّدًا رَحِيمًا ، وَمَلِكًا عَادِلًا .
هُوَ الَّذِي أَرَاخَ الْعِبَادَ ، وَأَزَالَ الظُّلْمَ مِنَ الْبِلَادِ .
هُوَ الَّذِي مَنَعَ الْكَبِيرَ يَظْلِمُ الصَّغِيرَ ، وَمَنَعَ الْقَوِيَّ يَأْكُلُ الضَّعِيفَ .
هُوَ الَّذِي أَغَاثَ الْمَظْلُومَ ، وَأَجَارَ الْخَائِفَ وَأَطْعَمَ الْجَائِعَ .
هُوَ الَّذِي هَدَانَا إِلَى الْحَقِّ وَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ ، وَكُنَّا قَبْلَ قُدُومِهِ بِهَائِمَ لَا نَعْرِفُ
اللَّهُ وَلَا نَعْرِفُ الْآخِرَةَ .

هُوَ الَّذِي أَغَاثَنَا أَيَّامَ الْمَجَاعَةِ فَكُنَّا نَأْكُلُ وَنَشْبَعُ ، وَالنَّاسُ يَمُوتُونَ فِي الْبِلَادِ
الْأُخْرَى ، إِنَّا لَا نَنْسَى مَلِكَنَا الْكَرِيمَ أَبَدًا ، وَلَا نَنْسَى أَيُّهَا السَّادَةُ أَنَّكُمْ إِخْوَتُهُ
وَأَهْلُ بَيْتِهِ .

قصص النبيين للأطفال ١٠١

وَكَمْ فَرِحَ بِكُمْ سَيِّدُنَا يَوْمَ قُدُومِكُمْ إِلَى مِصْرَ وَكَمْ فَرِحْنَا بِفَرَحِ سَيِّدِنَا .
فَالْبِلَادُ بِلَادِكُمْ ، وَإِنَّا لَكُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ كُنَّا فِي حَيَاةِ سَيِّدِنَا .

٣- بنو إسرائيل في مصر

وَهَكَذَا كَانَ مُدَّةَ طَوِيلَةَ !

فَقَدْ حَفِظَ أَهْلَ مِصْرَ مَا قَالُوا وَعَرَفُوا لِلْكَنْعَانِيِّينَ الْفَضْلَ .
وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْكَنْعَانِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعَوْنَ « بَنِي إِسْرَائِيلَ » أَصْحَابَ
شَرَفٍ وَأَمْوَالٍ .

وَلَكِنْ تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَدْ فَسَدَتْ أَخْلَاقُهُمْ ، وَتَرَكَوا الدَّعْوَةَ
إِلَى اللَّهِ وَدُعَاءَ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ ، وَسَقَطُوا عَلَى الدُّنْيَا .

وَتَغَيَّرَ لَهُمُ النَّاسُ أَيْضًا وَصَارُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ بِغَيْرِ مَا كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى
آبَائِهِمْ .

وَصَارُوا كَسَائِرِ النَّاسِ ، لَا يَمْتَازُونَ عَنِ النَّاسِ إِلَّا بِالنَّسَبِ .

وَصَارَ النَّاسُ يَحْسُدُونَ الْعَنِيِّ مِنْهُمْ وَيَحْتَقِرُونَ الْفَقِيرَ مِنْهُمْ .

وَصَارَ أَهْلُ مِصْرَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ كَغَرِيبٍ جَاءَ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ .

وَلَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي مِصْرَ .

وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَهْلَ الْبِلَادِ ، وَأَنَّ مِصْرَ لِلْمِصْرِيِّينَ .

وَيَرَى بَعْضُ أَهْلِ مِصْرَ أَنَّ يُوسُفَ كَانَ غَرِيبًا جَاءَ مِنْ كَنْعَانَ .

وَاشْتَرَاهُ عَزِيزُ مِصْرَ .

وَلَيْسَ لِلْكَنْعَانِيِّينَ أَنْ يَحْكُمَ مِصْرَ .

وَنَسِيَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَضَلَّ يُوسُفَ وَكَرَّمَهُ وَإِحْسَانَهُ .

٤- فرعون مصر

وَجَاءَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ فِرْعَوْنُ «مَلُوكِ مِصْرَ» يُبْغِضُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بُغْضًا شَدِيدًا .

وَجَاءَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ مَلِكٌ جَبَّارٌ جَدًّا ، فَكَانَ لَا يَرَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَنَّهُمْ مِنْ بَيْتِ يُوسُفَ مَلِكِ مِصْرَ الْكَرِيمِ .
بَلْ كَانَ لَا يَرَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ يَسْتَحِقُّونَ الرَّحْمَةَ وَالْإِنْصَافَ .
وَجَاءَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ مَلِكٌ جَبَّارٌ جَدًّا .

وَكَانَ يَرَى أَنَّ قَوْمَهُ الْقِبْطَ مِنْ نَوْعٍ ، وَأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ .
الْقِبْطَ مِنْ نَوْعِ الْمُلُوكِ لِيَحْكُمُوا ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ نَوْعِ الْعَبِيدِ خَلِقُوا لِيَخْدُمُوا .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يُعَامِلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعَامَلَةَ الْحَمِيرِ وَالِدَّوَابِّ يَسْتَخْدِمُهَا الْإِنْسَانُ وَلَا يُعْطِيهَا إِلَّا قُوَّةَ يَوْمِهَا .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ مَلِكًا جَبَّارًا مُتَكَبِّرًا لَا يَرَى فَوْقَهُ أَحَدًا .

وَكَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ بَلْ كَانَ يَقُولُ : ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] .

وَكَانَ مَغْرُورًا بِمُلْكِهِ وَفُصُورِهِ وَقُوَّتِهِ وَيَقُولُ : ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ

الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١] .

وَكَانَهُ كَانَ خَلِيفَةً لِنَمْرُودَ مَلِكِ بَابِلَ .

وَكَانَ يَغْضَبُ إِذَا عَلِمَ أَحَدًا يَرَى فَوْقَهُ أَحَدًا .

وَدَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهِ وَالسَّجُودِ لَهُ ، وَأَطَاعَهُ النَّاسُ .
 وَامْتَنَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ؛ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُونَ بِرُسُلِهِ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ
 فِرْعَوْنَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ .

٥- ذبح الأطفال

وَذَهَبَ كَاهِنُ قِبْطِيٍّ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَالَ لَهُ :
 « يُوَلَّدُ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَذْهَبُ مُلْكُكَ عَلَى يَدِهِ » .
 وَجَنَّ جُنُونُ فِرْعَوْنَ ، وَأَمَرَ الشَّرْطَةَ أَنْ يَذْبَحُوا كُلَّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ فِي بَنِي
 إِسْرَائِيلَ .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَرَى أَنَّهُ رَبُّ النَّاسِ يَذْبَحُ مِنْ يَشَاءُ وَيَتْرُكُ مِنْ يَشَاءُ .
 كَصَاحِبِ الْغَنَمِ يَذْبَحُ مِنْ غَنَمِهِ مَا يَشَاءُ وَيَتْرُكُ مَا يَشَاءُ .
 وَانْتَشَرَتِ الشَّرْطَةُ فِي مَصْرَ يُفْتَشُونَ وَيَبْحَثُونَ .
 فَإِذَا عَلِمُوا مَوْلُودًا وُلِدَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَخَذُوهُ وَذَبَحُوهُ كَمَا تُذْبَحُ النَّعْجَةُ .
 وَعَاشَتِ الذَّنَابُ فِي الْغَايَةِ ، وَعَاشَتِ الْحَيَّاتُ وَالْعَقَّارِبُ فِي الْبَلَدِ ، وَلَمْ
 يَتَعَرَّضْ لَهَا أَحَدٌ .

وَلَكِنْ مَا كَانَ لِمَوْلُودٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعِيشَ فِي مَمْلَكَةِ فِرْعَوْنَ .
 وَذُبِحَ أَلُوفٌ مِنَ الْأَطْفَالِ أَمَامَ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ .
 وَكَانَ الْيَوْمُ الَّذِي يُوَلَّدُ فِيهِ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمًا عَسِيرًا .
 وَكَانَ يَوْمٌ حُزِنٌ وَبُكَاءٍ .

وَكَانَ الْيَوْمُ الَّذِي يُوَلَّدُ فِيهِ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمًا تَعْزِيَةً وَرِثَاءً .

وَكَانَ يُذَبِّحُ مِثَاتٍ مِنَ الْأَطْفَالِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ كَعِيدِ الْأَضْحَى .
يُذَبِّحُ فِيهِ مِثَاتٌ مِنَ الْغَنَمِ وَالنَّعَاجِ وَالْبَقَرِ : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ
أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤] .

٦- ولادة موسى

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَخَافُهُ وَيَحْذَرُهُ .
وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ مَلِكًا فِرْعَوْنَ عَلَى يَدِهِ .
وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ خَلَاصًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِهِ .
وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ النَّاسِ إِلَى
عِبَادَةِ اللَّهِ .

وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .
وُلِدَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَى رَغَمِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ .
وَعَاشَ مُوسَى ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ عَلَى رَغَمِ الشُّرْطَةِ وَرَقَابَتِهِمْ .

٧- في النيل

وَلَكِنْ خَافَتْ أُمُّ مُوسَى عَلَى مَوْلُودِهَا الْجَمِيلِ ، وَكَيْفَ لَا تَخَافُ وَعَدُوُّ
الْأَطْفَالِ بِمِرْصَادٍ ؟
وَكَيفَ لَا تَخَافُ ، وَقَدْ اخْتَطَفَتْ الشُّرْطَةُ عَشْرَاتٍ مِنَ الْأَطْفَالِ مِنْ حِجْرِ
الْأُمَّهَاتِ فِي أُسْرَتِهَا .
مَاذَا تَصْنَعُ الْأُمُّ الْمَسْكِينَةُ ، وَأَيْنَ تُخْفِي هَذَا الْمَوْلُودَ الْجَمِيلَ وَالشُّرْطَةُ لَهُمْ

عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَاقُ النَّمْلِ ، هُنَالِكَ أَغَاثَ اللَّهُ الْأُمَّ الْمِسْكِينَةَ ، وَالْهَمَهَا أَنْ تَضَعَهُ فِي صُنْدُوقٍ وَتُلْقِيَهُ فِي النَّيْلِ .

اللَّهُ أَكْبَرُ ، كَيْفَ تَضَعُ الْأُمُّ الْحُنُونَ طِفْلَهَا .

فِي صُنْدُوقٍ وَتُلْقِيهِ فِي النَّيْلِ .

مَنْ يُرْضِعُ الطِّفْلَ فِي الصَّنْدُوقِ ؟ وَكَيْفَ يَتَنَسَّسُ الطِّفْلُ فِي الصَّنْدُوقِ ؟ !

فِي كُلِّ ذَلِكَ فَكَّرَتِ الْأُمُّ الْحُنُونَ ، وَلَكِنَّهَا تَوَكَّلَتْ عَلَى اللَّهِ وَاعْتَمَدَتْ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ .

وَلَيْسَ الْبَيْتُ أَحْفَظَ لِلطِّفْلِ مِنَ الصَّنْدُوقِ ؟

هُنَا الشَّرْطَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَعَدُوُّ الْأَطْفَالِ بِمَرْصَادٍ .

وَالشَّرْطَةُ لَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَّةُ النَّمْلِ .

وَفَعَلَتِ الْأُمُّ الْمِسْكِينَةُ مَا أَمَرَهَا اللَّهُ ، وَوَضَعَتْ طِفْلَهَا الْجَمِيلَ فِي صُنْدُوقٍ وَأَلْقَتْهُ فِي النَّيْلِ .

وَجَزَعَتِ الْأُمُّ الْحُنُونَ ثُمَّ صَبَرَتْ وَتَوَكَّلَتْ عَلَى اللَّهِ .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ إِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَاَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧] .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ إِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَاَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧] .

٨ - في قصر فرعون

كَانَ فِرْعَوْنُ لَهُ فُضُورٌ كَثِيرَةٌ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ .

وَكَانَ يَتَنَقَّلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرِ ، وَيَتَنَزَّهُ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ .

وَكَانَ يَوْمًا جَالِسًا عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ يَتَنَزَّهُ ، وَيَرَى إِلَى النَّهْرِ يَجْرِي تَحْتَ

رِجْلَيْهِ .

وَكَانَتْ مَعَهُ مَلَكَةٌ مِصْرَ تَنْزَرُهُ مَعَ الْمَلِكِ .

وَتَرَى إِلَى النَّيْلِ يَجْرِي وَبَيْنَمَا هُمَا يَتَنَزَّرَانِ ، إِذْ وَقَعَ بَصَرُهُمَا عَلَى صُنْدُوقٍ
تَلَعَّبُ بِهِ أَمْوَاجُ النَّيْلِ كَأَنَّمَا تُقْبَلُهُ .

هَلْ تَرَى يَا سَيِّدِي ذَلِكَ الصَّنْدُوقِ ؟

أَيْنَ الصَّنْدُوقِ فِي النَّيْلِ ؟ إِنَّمَا هِيَ خَشَبَةٌ سَقَطَتْ فِي النَّيْلِ .

لَا يَا سَيِّدِي إِنَّمَا هُوَ صُنْدُوقٌ !

وَقَرَّبَ الصَّنْدُوقَ ، فَقَالَ النَّاسُ : نَعَمْ هَذَا صُنْدُوقٌ .

وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَحَدَ الْخَدَمِ ، وَقَالَ : إِلَيْكَ هَذَا الصَّنْدُوقُ .

وَذَهَبَ الْخَادِمُ وَأَخْرَجَ الصَّنْدُوقَ .

وَفُتِحَ الصَّنْدُوقُ فَإِذَا فِيهِ غُلَامٌ جَمِيلٌ يَتَسَمُّ .

وَتَحَيَّرَ النَّاسُ ، كُلُّ يَأْخُذُهُ وَيَرَاهُ .

وَتَحَيَّرَ فِرْعَوْنُ وَرَأَاهُ .

قَالَ بَعْضُ الْخَدَمِ : إِنَّ هَذَا الْغُلَامَ إِسْرَائِيلِيُّ وَلَا بُدَّ لِلْمَلِكِ أَنْ يَذْبَحَهُ .

وَرَأَتْهُ الْمَلَكَةُ وَدَخَلَ حُبُّهُ فِي قَلْبِهَا ، فَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا وَقَبَّلَتْهُ .

وَشَفِيعَتْ لَهُ عِنْدَ الْمَلِكِ ، وَقَالَتْ : ﴿ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لِأَنْقُضُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ

نَتَّخِذَهُ وُلْدًا ﴾ [القصص: ٩] .

وَهَكَذَا دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ قَصْرَ فِرْعَوْنَ ، وَعَاشَ عَلَى رِغْمِ فِرْعَوْنَ

وَشَرَّطَتْهُ .

وَلَمْ يَهْتَدِ الشَّرْطَةُ إِلَى هَذَا الْمَوْلُودِ الْإِسْرَائِيلِيِّ ، وَلَهُمْ عِيُونَ الْغُرَابِ وَشَامَةٌ

النَّمْلِ .

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرَبِّيَ فِرْعَوْنَ « عَدُوَّ الْأَطْفَالِ » طِفْلاً يَذْهَبُ مُلْكُهُ عَلَى يَدِهِ .
مُسْكِينٌ فِرْعَوْنُ ، لَقَدْ أَخْطَأَ فِي شَأْنِ مُوسَى ، وَقَدْ أَخْطَأَ مَعَهُ وَزِيرُهُ هَامَانُ
وَجُنُودُهُ .

﴿فَالنَّقْطَةُ ۚ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا
كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨] .

٩- من يرضع الطفل؟

وَكَانَ الطُّفْلُ الْجَدِيدُ ، وَكَانَ الطُّفْلُ الْجَمِيلُ لُغْبَةَ الْقَصْرِ وَلَهُوَ الدَّارِ .
كُلُّ يَأْخُذُهُ وَيَقْبَلُهُ ، وَكُلُّ يُحِبُّهُ وَيَمْدَحُهُ ؛ لِأَنَّ الْمَلِكَةَ تُحِبُّهُ حُبًّا عَظِيمًا .
فَكَيْفَ لَا تُحِبُّهُ سَيِّدَاتُ الْقَصْرِ ، وَكَيْفَ لَا يُحِبُّهُ خَدَمُ الْقَصْرِ .
وَكُلُّ يَأْخُذُهُ وَيَقْبَلُهُ ، لِأَنَّ الطُّفْلَ جَمِيلًا .
وَطَلَبَتِ الْمَلِكَةُ مُرْضِعًا تُرْضِعُ الطُّفْلَ ، وَجَاءَتْ وَأَخَذَتِ الطُّفْلَ ، وَلَكِنَّ
الطُّفْلَ يَبْكِي وَيَأْبَى .
وَطَلَبَتِ الْمَلِكَةُ مُرْضِعًا أُخْرَى ، وَحَضَرَتْ وَأَخَذَتِ الطُّفْلَ ، وَلَكِنَّ الطُّفْلَ
يَبْكِي وَيَأْبَى .

وَثَالِثَةٌ وَرَابِعَةٌ وَخَامِسَةٌ وَلَكِنَّ الطُّفْلَ يَبْكِي وَيَأْبَى .
عَجَبًا ، لِمَاذَا لَا يَرْتَضِعُ الطُّفْلُ ، لِأَيِّ شَيْءٍ يَبْكِي ؟
اجْتَهَدَتِ الْمَرَاضِعُ أَنْ تُرْضِعَ الطُّفْلَ لِتُسَرَّ الْمَلِكَةُ وَتَنَالَ مِنْهَا جَائِزَةً .
وَلَكِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ .
وَأَصْبَحَ الطُّفْلُ حَدِيثَ الْقَصْرِ وَشُغْلَ الدَّارِ .

هَلْ رَأَيْتِ يَا أُخْتِي الطُّفْلَ الْجَدِيدَ ؟
 نَعَمْ قَدْ رَأَيْتُهُ ، طِفْلٌ جَمِيلٌ جِدًّا .
 وَلَكِنَّهُ طِفْلٌ غَرِيبٌ لَيْسَ كَالْأَطْفَالِ ، إِنَّهُ لَا يَرْتَضِعُ .
 وَإِذَا أَخَذَتْهُ مُرْضِعٌ يَبْكِي وَيَأْبَى أَنْ يَرْتَضِعَ ، مَسْكِينٌ كَيْفَ يَعِيشُ ؟ إِنَّهُ
 يَمُوتُ .

نَعَمْ قَدْ مَضَى عَلَيْهِ أَيَّامٌ وَلَمْ يَرْتَضِعُ .

١٠- في حبرامه

وَقَالَتِ الْأُمُّ الْحَنُونُ لِأُخْتِ مُوسَى :
 اذْهَبِي يَا بِنْتِي وَانظُرِي أَخَاكَ لَعَلَّهُ حَيٌّ .
 إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي أَنَّهُ يَرُدُّ الطُّفْلَ إِلَيَّ وَأَنَّهُ يَحْفَظُهُ .
 وَذَهَبَتْ أُخْتُ مُوسَى تَبْحَثُ عَنْ أَخِيهَا .
 وَسَمِعَتِ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ طِفْلٍ جَمِيلٍ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ .
 ذَهَبَتْ السَّيِّدَةُ وَوَقَفَتْ تَسْمَعُ حَدِيثَ النِّسَاءِ فِي الْقَصْرِ .
 هَلْ جَاءَتْ الْمَرْضِعُ الَّتِي طَلَبَتْهَا الْمَلِكَةُ مِنْ أَسْوَانَ ؟
 نَعَمْ يَا سَيِّدَتِي ، وَلَكِنَّ الطُّفْلَ أَبِي أَيْضًا وَلَمْ يَرْتَضِعُ .
 يَا سَلَامٌ ! مَا شَأْنُ هَذَا الطُّفْلِ ؟ لَعَلَّ هَذِهِ هِيَ السَّادِسَةُ الَّتِي جَرَّبَتْهَا الْمَلِكَةُ .
 نَعَمْ وَيَقُولُونَ : إِنَّهَا مَرَضِعٌ نَظِيفَةٌ جِدًّا وَكُلُّ يَرْتَضِعُ مِنْهَا .
 سَمِعَتْ أُخْتُ مُوسَى هَذَا الْكَلَامَ وَقَالَتْ بِأَدَبٍ وَلُطْفٍ :
 أَنَا أَعْرِفُ امْرَأَةً فِي الْبَلَدِ ، لَا بُدَّ أَنْ يَرْتَضِعَ مِنْهَا الطُّفْلُ .

قَالَتْ امْرَأَةٌ: أَنَا لَا أُصَدِّقُ قَدْ جَرَّبْنَا سِتَّ مَرَاضِعَ وَلَكِنَّ لَمْ يَرْتَضِعْ .

قَالَتْ أُخْرَى : وَلِمَاذَا لَا نُجَرِّبُ السَّابِعَةَ ، مَاذَا عَلَيْنَا ؟

وَوَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى الْمَلِكَةِ فَطَلَبَتِ الْجَارِيَةَ وَقَالَتْ :

« اذْهَبِي وَخُذِي مَعَكَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ » .

وَجَاءَتْ أُمُّ مُوسَى ، وَجَاءَتْ خَادِمَةٌ وَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا مُوسَى .

فَاعْتَنَقَ الطِّفْلُ الْمَرْأَةَ ، وَأَقْبَلَ يَرْتَضِعُ ، كَأَنَّهُ كَانَ مِنْهَا عَلَى مِيعَادٍ .

وَلِمَاذَا لَا يَرْتَضِعُ وَهِيَ أُمُّهُ الْحَنُونُ ؟!

وَلِمَاذَا لَا يَرْتَضِعُ وَهُوَ جَائِعٌ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ؟!

وَعَجِبَتِ الْمَلِكَةُ وَعَجِبَ أَهْلُ الْقَصْرِ ، وَارْتَابَ فِرْعَوْنُ وَقَالَ : لِمَاذَا قَبِلَ

هَذَا الطِّفْلُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ فَهَلْ هِيَ أُمُّهُ ؟

قَالَتْ أُمُّ مُوسَى : يَا سَيِّدِي أَنَا امْرَأَةٌ طَيِّبَةُ الرَّيْحِ ، طَيِّبَةُ اللَّبَنِ كُلُّ طِفْلِ

يَقْبَلُنِي .

وَسَكَتَ فِرْعَوْنُ وَأَجْرَى عَلَيْهَا رِزْقًا .

وَرَجَعَتْ أُمُّ مُوسَى إِلَى بَيْتِهَا وَفِي حِجْرِهَا مُوسَى .

﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَى نَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ١٣] .

١١- إلى قصر فرعون !

وَلَمَّا أَتَمَّتْ أُمُّ مُوسَى رِضَاعَتَهُ ، رَدَّتْهُ إِلَى الْقَصْرِ .
 وَنَشَأَ مُوسَى فِي قَصْرِ الْمَلِكِ كَمَا يَنْشَأُ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ .
 وَهَكَذَا زَالَتْ مِنْ قَلْبِ مُوسَى ، مَهَابَةُ الْمُلُوكِ وَالْأَغْنِيَاءِ .
 وَرَأَى مُوسَى بِعَيْنَيْهِ كَيْفَ يَنْعَمُ فِرْعَوْنُ وَأَهْلُهُ .
 وَكَيْفَ يَشْقَى بَنُو إِسْرَائِيلَ ، لِيَنْعَمَ فِرْعَوْنُ وَأَهْلُهُ .
 وَكَيْفَ يَجُوعُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِتَشْبَعَ دَوَابُّ فِرْعَوْنَ .
 وَكَيْفَ يَعَامِلُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَامَلَةَ الْحَمِيرِ وَالذَّوَابِّ .
 وَكَيْفَ يَسْتَحْدِمُونَهُمْ وَيَسُوْمُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ .
 وَكَانَ مُوسَى يَرَى ذَلِكَ صَبَاحَ مَسَاءٍ وَيَسْكُتُ .
 وَلَكِنْ كَانَ مُوسَى يَغِيظُهُ ذَلِكَ .
 وَكَيْفَ لَا يَغِيظُهُ إِهَانَةُ قَوْمِهِ وَأُسْرَتِهِ .
 وَهُمْ أَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهُمْ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ .
 وَمَا ذَنْبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَقْبَاطًا ؟!
 إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ كَنْعَانَ ؟!
 هَذَا لَيْسَ بِذَنْبٍ ! هَذَا لَيْسَ بِذَنْبٍ !

﴿ ١٢ - الضربة القاضية ﴾

وَلَمَّا كَانَ مُوسَى شَابًا قَوِيًّا آتَاهُ اللَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا .
وَكَانَ مُوسَى يُغِيضُ الظَّالِمِينَ وَيَكْرَهُهُمْ ، وَيَحِبُّ الضُّعَفَاءَ وَالْمَظْلُومِينَ ،
وَيَنْصُرُهُمْ وَكَذَلِكَ كُلُّ نَبِيٍّ .

وَدَخَلَ مُوسَى مَدِينَةَ فِرْعَوْنَ مَرَّةً وَالنَّاسُ فِي لَهْوٍ وَشُغْلٍ .
وَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهَذَا مِنَ الْأَقْبَاطِ .
أَعْدَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

فَصَرَخَ الْإِسْرَائِيلِيُّ ، وَنَادَى مُوسَى لِنَصْرِهِ وَشَكَا الْقِبْطِيَّ .
وَعَضَبَ مُوسَى فَضْرَبَ الْقِبْطِيَّ ، فَكَانَتِ الْقَاضِيَةَ .
وَمَاتَ الْقِبْطِيُّ وَنَدِمَ مُوسَى جِدًّا ، وَعَرَفَ أَنَّ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ .
فَتَابَ مُوسَى إِلَى اللَّهِ وَأَنَابَ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ نَبِيٍّ .

﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ [القصص: ١٥] .

وَتَابَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ؛ لِأَنَّ مُوسَى لَمْ يَقْصِدْ أَنْ يَقْتَلَ الْقِبْطِيَّ ، بَلْ ضَرَبَهُ
وَلَكِنَّهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ .

وَحَمَدَ اللَّهُ مُوسَى وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَغَفَرَ لِي : ﴿ فَلَنَأْكُتَ ظَهِيرًا
لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧] .

وَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ وَيَحْذَرُ مَتَى تَجِيئُهُ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ ، وَلَهُمْ
عُيُونُ الْعُرَابِ وَشَامَةُ النَّمْلِ .

وَأَصْبَحَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ مَتَى تَجِيئُهُ الشُّرْطَةُ ، وَيَأْخُذُونَهُ إِلَى الْجَبَارِ .
وَرَأَى الشُّرْطَةُ قَبِيلًا قِبْطِيًّا مِنْ خَدَمِ فِرْعَوْنَ ، فَفَتَّشُوا عَنِ الْقَاتِلِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ
يَهْتَدُوا إِلَيْهِ .

وَمَنْ يَدُلُّهُمْ عَلَى الْقَاتِلِ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا مُوسَى وَالإِسْرَائِيلِيُّ؟!
وَأَصْبَحَ الْقَبِيلُ حَدِيثَ الْبَلَدِ وَشُغَلَ الْمَدِينَةُ ، كُلُّ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ وَلَا يَعْلَمُ
قَاتِلَهُ .

وَعَضِبَ فِرْعَوْنُ وَقَالَ لِلشُّرْطَةِ : لَا بُدَّ أَنْ تُفْتِّشُوا عَنِ الْقَاتِلِ .

١٣- يظهر السر

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي يَرَى مُوسَى ذَلِكَ الإِسْرَائِيلِيَّ فِي قِتَالٍ وَخِصَامٍ مَعَ قِبْطِيٍّ
آخَرَ .

وَمَا اسْتَحَى الإِسْرَائِيلِيُّ بَلْ صَرَخَ وَنَادَى مُوسَى لِنَصْرَتِهِ .

قَالَ مُوسَى : إِنَّكَ رَجُلٌ وَقِيحٌ ، أَلَا تَرَأُ فِي قِتَالٍ وَجِدَالٍ مَعَ النَّاسِ ، وَلَا
تَزَالُ تَصْرُخُ وَتُنَادِينِي .

أَلَا أَرَأَى أَنْصُرَكَ وَأَسَاعِدُكَ : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٨] .

وَلَكِنْ أَرَادَ مُوسَى أَنْ يُؤَدِّبَ الْقِبْطِيَّ قَلِيلًا وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمَا .

وَرَأَى الإِسْرَائِيلِيُّ غَضَبَ مُوسَى وَسَمِعَ مَلَامَهُ .

وَخَافَ أَنْ يَضْرِبَهُ مُوسَى فَتَكُونَ الْقَاضِيَةَ ، كَمَا ضَرَبَ الْقِبْطِيَّ فَكَانَتْ
الْقَاضِيَةَ .

﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِلَا مَسِّ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾

وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿ [القصص: ١٩] .

هَذَا لَكَ عَرَفَ الْقِبْطِيَّ أَنَّ مُوسَى هُوَ قَاتِلُ أَمْسٍ .

وَذَهَبَ الْقِبْطِيُّ ، وَأَخْبَرَ الشُّرْطَةَ بِأَنَّ مُوسَى هُوَ الْقَاتِلُ .

وَوَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى فِرْعَوْنَ فَغَضِبَ وَقَالَ :

أَذَلِكَ الْفَتَى رَيْبُ الْقَصْرِ وَرَضِيعُ الْمُلْكِ ؟

وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَنْجِي مُوسَى مِنْ شَرِّ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتِهِ .

إِنَّ مُوسَى لَمْ يَقْصِدْ أَنْ يَقْتُلَ الْقِبْطِيَّ بَلْ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً كَانَتْ الْقَاضِيَةَ .

وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتَهُ لَا يُسَلِّمُونَ ذَلِكَ ، وَلَا يَقْبَلُونَ لِمُوسَى عُذْرًا .

إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَ أَنْ يَذْهَبَ مَلِكُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدِ مُوسَى ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ خَلَاصٌ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِ مُوسَى .

إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَ أَنْ يُخْرِجَ مُوسَى النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدُ الشُّرْطَةِ الظَّالِمِينَ .

وَكَانَ رِجَالُ فِرْعَوْنَ وَوَزَرَاؤُهُ يَتَشَاوَرُونَ وَيَعْزِمُونَ عَلَى قَتْلِ مُوسَى .

وَكَانَ رَجُلٌ يَسْمَعُ كُلَّ ذَلِكَ وَيَعْرِفُهُ ، فَجَاءَ إِلَى مُوسَى وَأَخْبَرَهُ بِالْخَبْرِ وَقَالَ :

﴿ فَأَخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠] .

﴿ فَمَخْرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١] .

١٤- من مصر إلى مدين

وَلَكِنْ إِلَىٰ أَيْنَ يَذْهَبُ مُوسَىٰ ، وَمِصْرُ كُلِّهَا مَمْلَكَةٌ لِفِرْعَوْنَ ؟!
 وَشُرْطَةٌ فِرْعَوْنَ بِالْمِرْصَادِ ، وَلَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَةٌ النَّمْلِ .
 أَلْهَمَ اللَّهُ مُوسَىٰ أَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ مَدِينِ الْبَلَدِ الْعَرَبِيِّ ، حَيْثُ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ يَدُ
 فِرْعَوْنَ .

إِنَّ مَدِينَ بَادِيَّةٍ ، وَقَرْيَ لَيْسَ فِيهَا مَدِينَةٌ مِصْرَ .
 وَلَيْسَ فِيهَا قُصُورٌ مِصْرَ ، وَأَسْوَاقٌ مِصْرَ .
 وَلَكِنَّهَا بِلَادٌ سَعِيدَةٌ ؛ لِأَنَّهَا بَعِيدَةٌ مِنْ فِرْعَوْنَ .
 وَإِنَّهَا سَعِيدَةٌ ؛ لِأَنَّهَا بِلَادٌ حُرَّةٌ لَيْسَتْ تَحْتَ حُكْمِ فِرْعَوْنَ .
 يَا حَبْدًا الْبَدَاوَةَ مَعَ الْحُرِّيَّةِ وَالْعَدْلِ .
 وَيَا شَقَاوَةَ الْمَدِينَةِ مَعَ الْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ .
 هُنَالِكَ يُصْبِحُ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَخَافُ سَطْوَةَ فِرْعَوْنَ وَقَهْرَهُ .
 وَهُنَالِكَ يَبِيتُ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَخَافُ شُرْطَةَ فِرْعَوْنَ ، وَشَرَّهُ هُنَالِكَ لَا تُدْبِحُ
 الْأَبْنَاءُ .

قَصَدَ مُوسَىٰ مَدِينَ ، وَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، أَيَتَّبِعُهُ أَحَدٌ وَلَكِنْ نَامَ
 عَنْهُ الشُّرْطَةُ .

خَرَجَ مُوسَىٰ عَلَىٰ اسْمِ اللَّهِ يَدْعُو اللَّهَ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ النَّصْرَ .

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٢] .

١٥- في مدين

وَصَلَ مُوسَى إِلَى مَدْيَنَ ، لَا يَعْرِفُ أَحَدًا ، وَلَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ .

فَمَنْ يَاوِي إِلَيْهِ فِي اللَّيْلِ ، وَأَيْنَ بَيْتٌ ؟

تَحَيْرَ مُوسَى ، وَلَكِنَّهُ أَيَقَنَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُهُ .

وَكَانَ هُنَالِكَ بِنْتُ يَسْقِي عَلَيْهَا النَّاسُ غَنَمَهُمْ وَمَاشِيَتَهُمْ .

وَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ تَدُودَانِ غَنَمَهُمَا ، وَتَنْتَظِرَانِ أَنْ يَسْقِيَ النَّاسُ فَتَسْقِيَا .

رَأَى مُوسَى ذَلِكَ ، وَفِي قَلْبِهِ حَنَانُ الْكَرِيمِ وَشَفَقَةٌ الْأَبِ الرَّحِيمِ .

فَقَالَ : لِمَاذَا لَا تَسْقِيَانِ ؟

قَالَتَا : لَا يُمَكِّنُ لَنَا أَنْ نَسْقِيَ غَنَمَنَا حَتَّى يَسْقِيَ النَّاسُ ؛ لِأَنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ وَنَحْنُ

ضِعَفَاءُ ، وَلِأَنَّهُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ إِنَاثٌ .

وَكَأَنَّمَا عَرَفْتَا أَنَّ مُوسَى سَيَسْأَلُهُمَا : فَلِمَاذَا لَا يَسْقِيَ أَحَدٌ مِنْ رِجَالِ بَيْتِكُنَّ ؟

فَسَبَقْتَا وَقَالَتَا : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣] .

وَهَاجَ فِي مُوسَى حَنَانُ الْكَرِيمِ ، وَسَقَى لَهُمَا وَذَهَبَتَا .

وَأَيْنَ يَذْهَبُ مُوسَى الْآنَ ؟!

وَالِإِىَّ أَيْنَ يَاوِي فِي اللَّيْلِ وَأَيْنَ بَيْتٌ ؟!

إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ أَحَدًا ، وَلَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ !

﴿ ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] .

١٦. الطلب

وَوَصَلَتِ الْجَارِيَتَانِ إِلَى الْبَيْتِ قَبْلَ الْمِيعَادِ ، فَتَعَجَّبَ أَبُوهُمَا وَسَأَلَهُمَا عَنِ السَّبَبِ .

وَقَالَ لَهُمَا : مَا أَعْجَلَكُمَا يَا بِنْتَيَّ ، وَكَيْفَ وَصَلْتُمَا الْيَوْمَ قَبْلَ الْمِيعَادِ ؟
قَالَتِ السَّيِّدَتَانِ : قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا رَجُلًا كَرِيمًا سَقَى لَنَا .

تَعَجَّبَ الشَّيْخُ وَعَرَفَ أَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ ؛ لِأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَرْحَمْهُنَّ يَوْمًا .
قَالَ الشَّيْخُ : وَأَيْنَ تَرَكَتُمَا الرَّجُلَ ؟

قَالَتَا : تَرَكَنَاهُ فِي مَكَانِهِ ، رَجُلٌ غَرِيبٌ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى .

قَالَ الشَّيْخُ : مَا أَحْسَنْتُمَا يَا بِنْتَيَّ ، رَجُلٌ غَرِيبٌ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا ، وَلَيْسَ لَهُ
مَأْوَى فِي الْبَلَدِ .

إِلَى مَنْ يَأْوِي فِي اللَّيْلِ ، وَأَيْنَ بَيْتٌ ؟!

إِنَّ لَهُ عَلَيْنَا حَقَّ الضِّيَافَةِ ، وَإِنَّ لَهُ عَلَيْنَا حَقَّ الْإِحْسَانِ .
لِتَذْهَبَ إِحْدَاكُمَا وَتَأْخُذْهُ مَعَهَا .

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ

لَنَا ﴾ [القصص: ٢٤] .

وَعَرَفَ مُوسَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَابَ دُعَاءَهُ وَبَوَّأَ لَهُ ، فَمَا أَبِي .

وَخَرَجَ مُوسَى أَمَامَهَا لِيَلْقَى نَظْرَهُ عَلَيْهَا ، وَمَشَى مُوسَى مَشْيَ الْكِرَامِ .

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّيْخِ سَأَلَهُ عَنِ اسْمِهِ وَوَطْنِهِ وَخَبْرِهِ .

وَأَخْبَرَ مُوسَى خَبْرَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ .

سَمِعَ الشَّيْخُ كُلَّ ذَلِكَ بِصَبْرٍ وَهُدُوءٍ ، وَلَمَّا أَنْتَهَى مُوسَى مِنْ قِصَّتِهِ .

﴿ قَالَ لَا تَحْفَظْ نَجْوَتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥] .

١٧- الزواج

وَأَقَامَ مُوسَى عِنْدَهُمْ مَقَامَ ضَيْفٍ كَرِيمٍ ، بَلَّ حَلَّ مِنْهُمْ مَحَلَّ الْوَلَدِ الْعَزِيزِ .

وَقَالَتْ سَيِّدَةُ لَوَالِدِهَا يَوْمًا فِي بَسَاطَةٍ وَطَهَارَةٍ :

﴿ يَا بَاتِ اسْتَعِجْرُهُ إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَعَجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦] .

قَالَ الشَّيْخُ : وَمَا عِلْمُكَ بِقُوَّتِهِ وَأَمَانَتِهِ يَا بِنْتِي ؟

قَالَتْ : أَمَّا قُوَّتُهُ فَلأنه رَفَعَ الْغِطَاءَ عَنِ الْبِرِّ وَحَدَّهُ ، وَلَا يَرْفَعُهُ إِلَّا جَمَاعَةٌ .

وَأَمَّا أَمَانَتُهُ يَا أَبَتِ ، فَلأنه مَشَى أَمَامِي لَا يَنْظُرُ إِلَيَّ طُوالِ الطَّرِيقِ .

وَلَا بَدَّ لِلْأَجِيرِ وَلَا بَدَّ لِلْخَادِمِ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا أَمِينًا .

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ قَوِيًّا ضَعْفَ عَنِ الْعَمَلِ .

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَمِينًا لَمْ تَنْفَعْنَا قُوَّتُهُ مَعَ خِيَانَتِهِ .

وَوَافَقَ كَلَامُ السَّيِّدَةِ هَوَى فِي قَلْبِ الشَّيْخِ ، وَلَكِنَّهُ فَكَّرَ فِي الْمَسْأَلَةِ كَوَالِدٍ .

وَفَكَّرَ فِي الْمَسْأَلَةِ كَشَيْخٍ عَاقِلٍ .

قَالَ الشَّيْخُ فِي نَفْسِهِ : مَنْ ذَا يَكُونُ أَحَقَّ مِنْ هَذَا الْفَتَى بِأَنْ يَكُونَ صِهْرًا لِي .

وَأَيْنَ أَجْدُ فِي الدُّنْيَا أَفْضَلَ مِنْ هَذَا الشَّابِّ ؟!

أَمَّا فِي مَدِينٍ فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا أَهْلًا لِذَلِكَ !

وَلَعَلَّ اللهُ قَدْ سَأَقَ إِلَيَّ هَذَا الْفَتَى ، لِيَكُونَ لِي صِهْرًا وَوَزِيرًا .

فَقَالَ فِي وَقَارٍ وَشَفَقَةٍ وَحِكْمَةٍ :

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَدْتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيحٌ﴾ .

[القصص: ٢٧]

وَهَذَا هُوَ صِدَاقُكَ ، أَمَّا هَذِهِ السَّنَوَاتُ الثَّمَانِيَةُ فَلَا بُدَّ مِنْهَا .

﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ

اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧] .

خَافَ الشَّيْخُ أَنْ يَذْهَبَ الشَّابُّ بِنْتِهِ وَيَبْقَى وَحِيدًا .

وَرَأَى الشَّيْخُ أَنْ يُجْرِبَ الشَّابُّ أَيْضًا ، حَتَّى إِذَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَدَعَاهُ .

وَافَقَ مُوسَى عَلَى ذَلِكَ ، وَرَأَى أَنْ هَذَا مِنَ اللَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَبَارِكُ فِي ذَلِكَ .

إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَاقَهُ إِلَى مَدِينٍ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الشَّيْخِ وَالْقَى فِي قَلْبِهِ حَنَانًا وَحُبًّا .

فَقَالَ : ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [القصص: ٢٨] .

وَلَكِنْ أَرَادَ مُوسَى - بِحِكْمَتِهِ وَعَقْلِهِ - أَنْ يَحْفَظَ لَهُ حَقَّ الْخِيَارِ لَعَلَّهُ يَسْأَمُ

فَقَالَ : ﴿أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدُونَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ .

[القصص: ٢٨]

١٨- إلى مصر

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ [القصص: ٢٩] .

وَوَدَّعَ الشَّيْخُ ، وَوَدَّعَهُ الشَّيْخُ وَدَعَا لَهُ : عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ يَا وَلَدِي ! فِي أَمَانٍ

اللَّهُ يَا بَنِي !

وَسَافَرَ مُوسَى بِأَهْلِهِ ، وَاللَّيْلُ كُلُّهُ بَرْدٌ وَظَلَامٌ .

وَلَكِنْ أَيْنَ النَّارُ فِي الصَّحْرَاءِ ؟

وَمَاذَا يَصْنَعَانِ إِذَا لَمْ يَجِدَا نَارًا يَصْطَلِيَانِ بِهَا ، وَلَمْ يَجِدَا نُورًا يَهْتَدُونَ بِهِ ؟ !
وَبَيْنَمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَمُوسَى يَبْحَثُ عَنْ نَارٍ .

﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ

هُدًى ﴾ [القصص: ٢٩] .

وَسَارَ مُوسَى قِبَلَ النَّارِ عَلَى جَنَاحِ الشَّوْقِ .

﴿ فَلَمَّا أَنبَأَتُودِي بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَارُبُكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ .

[القصص: ٣٠]

هَنَالِكَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَأَوْحَى إِلَيْهِ .

﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ ﴾ [القصص: ٢٠] .

وَكَانَ فِي يَدِ مُوسَى عَصًا كَانَ يَحْمِلُهَا وَيَسْتَعِينُ بِهَا فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ [طه: ١٧] .

وَأَجَابَ مُوسَى فِي بَسَاطَةٍ وَسَدَاجَةٍ :

﴿ قَالَ هِيَ عَصَاي ﴾ [طه: ١٨] .

وَأَخَذَ مُوسَى يَعُدُّ فَوَائِدَ هَذِهِ الْعَصَا فِي تَفْصِيلٍ ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهَ

وَيَكُونَ حَدِيثُهُ طَوِيلًا .

﴿ هِيَ عَصَاي أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى ﴾ .

[طه: ١٨]

﴿ قَالَ أَلْقَاهَا فِي مَوْسَى ﴾ [طه: ١٩].

﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه: ٢٠].

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ [طه: ٢١].

وَمَنَحَ مُوسَى آيَةً ثَانِيَةً ، هِيَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فَقَالَ :

﴿ وَأَضْمَمْتُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾ [طه: ٢٢].

١٩- اذهب الى فرعون انه طغى

وَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ يَشْرَعَ عَمَلَهُ الَّذِي خَلَقَهُ لِأَجْلِهِ .

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ فِرْعَوْنَ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ .

إِنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ، إِنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَفْسَدُوا فِي أَرْضِ اللَّهِ .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ .

فَارَادَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ .

لَكِنْ كَيْفَ يَذْهَبُ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ وَكَيْفَ يُوَاجِهُ الْجَبَّارَ .

وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْقَبْطِيَّ بِالْأَمْسِ وَمَا أَمْسُ بِبَعِيدٍ !

وَهُوَ الَّذِي خَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، وَيَعْرِفُهُ الشُّرْطَةُ وَيَعْرِفُهُ أَهْلُ

الْقَصْرِ .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ [طه: ٤٠].

وَذَكَرَ مُوسَى أَنَّ فِي لِسَانِهِ حُبْسَةً .

وَلَكِنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْرِفُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ مُوسَى رَغْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ .

﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُورُونَ ﴾ .

[الشعراء: ١١]

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ

هَارُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢، ١٣] .

﴿ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ [الشعراء: ١٤] .

﴿ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِإِيتَانِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦] .

﴿ فَأَتِيَافِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧] .

﴿ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ .

وَأَوْصَىٰ اللَّهُ مُوسَىٰ ، وَهَارُونَ بِاللَّيْنِ وَالرَّفْقِ مَعَ فِرْعَوْنَ .

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ مَعَ أَعْدَائِهِ إِلَىٰ حَدِّ فَقَالَ :

﴿ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلَا لِنَا لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [الشعراء: ٢٠] .

﴿ ٢٠ - أمام فرعون ﴾

وَجَاءَ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَامَا فِي مَجْلِسِهِ يَدْعُوَانِهِ إِلَىٰ اللَّهِ .

وَغَضِبَ الْجَبَّارُ مِنْ جَرَاءَةِ مُوسَىٰ ، وَقَالَ فِي عُلُوٍّ وَكِبَرٍ :

مَنْ تَكُونُ أَيُّهَا الشَّابُّ حَتَّىٰ تَقُومَ فِي مَجْلِسِي وَتَعْظِي ، أَلَسْتَ ذَلِكَ الْغَلَامُ

الَّذِي التَّقَطَّنَاهُ مِنَ الْبَحْرِ!؟

﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨] .

﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩] .

وَلَمْ يَغْضَبْ مُوسَى ، وَلَنْ يَكْذِبَ وَلَمْ يَجْحَدْ وَلَمْ يَعْتَذِرْ بَلْ أَجَابَ فِي صِرَاحَةٍ
وَوَقَارٍ :

﴿ قَالَ فَعَلْنَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي

مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٠، ٢١] .

وَقَالَ مُوسَى : إِنَّكَ يَا فِرْعَوْنُ تَمَنَّ عَلَيَّ بِالتَّوْبَةِ ، وَلَكِنْ لَا تَنْظُرُ لِمَاذَا وَقَعْتُ
بِيَدِكَ وَكَيْفَ أَمَكَّنَكَ أَنْ تُرَبِّيَنِي ؟

إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَأْمُرْ بِقَتْلِ الْأَطْفَالِ لَمَا أَلْقَيْتَنِي أُمِّي فِي النَّيْلِ ، وَمَا وَقَعْتُ بِيَدِكَ .

وَهَلْ نِعْمَةٌ تَعُدُّ وَتَذْكُرُ فِي جَنْبِ ظُلْمِكَ وَقَسَاوَتِكَ ؟

إِنَّكَ عَامَلْتَ قَوْمِي ، كُلَّهُمْ مَعَامَلَةَ الْحَمِيرِ وَالذَّوَابِّ .

وَكُنْتَ تَزْجُرُهُمْ زَجْرَ الْكِلَابِ .

وَكُنْتَ تَسُوْمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ .

فَأَيُّ فَضْلٍ لَكَ إِذَا كَفَلْتَ طِفْلاً مِنْهُمْ ؟!

وَذَلِكَ أَيْضًا عَنْ جَهْلِ وَخَطَا !

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ٢٢] .

﴿ ٢١ ﴾ - الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ ﴿ ٢١ ﴾

وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ وَلَمْ يَجِدْ جَوَابًا ، فَأَرَادَ أَنْ يَتَخَلَّصَ فَقَالَ :

﴿ وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] الَّذِي أَسْمَعُكَ تَذْكُرُهُ ؟

﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤] .

غَضِبَ فِرْعَوْنُ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَغْضِبَ أَهْلَ الْمَجْلِسِ وَيَتَعَجَّبُوا .

﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعُونُ ﴾ [الشعراء: ٢٥] .

وَلَمْ يَقْطَعْ مُوسَى الْكَلَامَ بَلْ ضَرَبَ فِرْعَوْنَ ضَرْبَةً ثَانِيَةً .

﴿ قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى ﴾ [الشعراء: ٢٦] .

وَاشْتَدَّ غَضَبُ فِرْعَوْنَ وَلَمْ يَصْبِرْ وَقَالَ :

﴿ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٧] .

وَلَمْ يَقْطَعْ مُوسَى الْكَلَامَ ، وَضَرَبَ فِرْعَوْنَ ضَرْبَةً ثَالِثَةً .

﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٨] .

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَشْغَلَ مُوسَى عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ الْمَرَّةِ .

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُثِيرَ غَضَبَ مَلِيئِهِ .

فَقَالَ : ﴿ فَمَا بِالْقُرُونِ الْأُولَى ﴾؟! [طه: ٥١] .

قَالَ فِرْعَوْنُ فِي نَفْسِهِ : إِذَا قَالَ مُوسَى : إِنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ .

قُلْتُ : فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ !

وَإِذَا قَالَ مُوسَى : إِنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالَةٍ وَسَفَاهَةٍ .

غَضِبَ أَهْلَ الْمَجْلِسِ وَقَالُوا : إِنَّ مُوسَى سَبَّ آبَاءَنَا .

وَلَكِنْ مُوسَى كَانَ أَعْقَلَ مِنْ فِرْعَوْنَ ، وَكَانَ مُوسَى عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ، فَقَالَ :

﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢] .

ثُمَّ أَنْشَأَ مُوسَى يَقُولُ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَفِرُّ مِنْهُ وَيَتَخَلَّصُ :

﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿ [طه: ٥٢، ٥٣] .

وَتَحْيِرَ فِرْعَوْنَ وَبِهَتَ وَلَمْ يَدْرِ مَا يُقُولُ فَقَالَ مَا تَقُولُهُ الْمُلُوكُ كُلُّهُمْ إِذَا
عَجَزُوا وَعَظِبُوا .

﴿ قَالِ لِيِنِ اتَّخَذَتِ الْإِلَهَاءُ غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩] .

٢٢- معجزات موسى

وَلَمَّا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ سَهْمَهُ ، أَرَادَ مُوسَى أَنْ يَرْمِيَهُ بِسَهْمِ اللَّهِ .

﴿ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ ؟! [الشعراء: ٣٠] .

﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الشعراء: ٣١] .

﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء: ٣٢] .

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ إِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٣] .

وَوَجَدَ فِرْعَوْنُ مَقَالًا يَقُولُهُ لِجَلَسَاتِهِ .

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الشعراء: ٣٤] .

وَوَافَقَ أَهْلَ الْمَجَلِسِ : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء: ٣٤] .

﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّحْرُونَ ﴾ [يونس: ٧٧] .

وَرَمَى فِرْعَوْنُ مُوسَى بِسَهْمِهِ آخِرَ فَقَالَ : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٧٨] .

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُخَوِّفَ الْمَلَإَ مِنْ مُوسَى فِعْلَ الْمُلُوكِ .

فَقَالَ : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الشعراء: ٣٥] .

أَشَارَ الْمَلَأُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَجْمَعَ السَّحَرَةَ مِنْ مَمْلَكَتِهِ وَيَرْمِي مُوسَى .

وَهَكَذَا كَانَ ، نُودِيَ فِي مَمْلَكَةِ مِصْرَ : « أَلَا مِنْ كَانَ يَعْرِفُ السَّحْرَ فَلْيَحْضُرْ

إِلَى الْمَلِكِ » .

وَاجْتَمَعَ السَّحَرَةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْمَمْلَكَةِ .

وَكَانَ يَوْمَ الزَّيْنَةِ هُوَ الْمِيعَادُ .

﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ

السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿ [الشعراء: ٣٩-٤١] .

٢٣- إلى الميدان

وَتَرَى النَّاسَ يَخْرُجُونَ مِنْ بُيُوتِهِمْ ضُحَى ! وَيَمَشُونَ إِلَى الْمَيْدَانِ أَفْوَاجًا .

وَيَمَشُونَ إِلَى الْمَيْدَانِ أَطْفَالًا ، وَشَبَابًا وَشِيُوخًا ، وَرِجَالًا وَنِسَاءً .

وَلَمْ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ إِلَّا مَرِيضٌ أَوْ عَاجِزٌ .

وَلَا تَسْمَعُ فِي الْمَطْرِيَّةِ ^(١) إِلَّا حَدِيثَ السَّحْرِ وَأَسْمَاءَ السَّحَرَةِ .

هَلْ جَاءَ سَاحِرُ أُسْوَانَ ^(٢) الْأَكْبَرُ أَيْضًا ؟

نَعَمْ وَسَاحِرُ الْأَقْصَرِ ^(٣) وَسَاحِرُ الْجِيزَةِ ^(٤) الشَّهِيرُ !

مَاذَا تَرَى يَا أَخِي مَنْ يَغْلِبُ ؟

إِنَّ مِصْرَ قَدْ أَلْقَتْ أَفْلَادَ كَبَدَهَا تَرَى يَغْلِبُهُمْ أَحَدٌ !

(١) قصبة مصر أيام الفراعنة .

(٢- ٤) مدن مصر القديمة .

وَكَيْفَ يَغْلِبُهُمْ مُوسَى وَأَخُوهُ وَأَيْنَ تَعَلَّمَا السِّحْرَ؟

نَشَأَ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ وَكَانَ فِي مَدِينِ سِنِينَ .

فَأَيْنَ تَعَلَّمَا السِّحْرَ؟

أَفِي مِصْرَ؟ لَا!

أَفِي مَدِينِ؟ مَا سَمِعْنَا أَنَّ هُنَالِكَ فَنَّا!

وَجَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَهُمْ بَيْنَ يَأْسٍ وَرَجَاءٍ ، وَلَعَلَّ الْيَأْسَ أَغْلَبَ ، اللَّهُ يَرْحَمُ

ابْنَ عِمْرَانَ!

اللَّهُ يَنْصُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ!

وَجَاءَ السَّحَرَةُ وَأَقْبَلُوا بِخِيَلَتِهِمْ وَفَخَرِهِمْ ، وَخَرَجُوا فِي مَلَابِسَ مُلَوَّنَةٍ ،
وَخَرَجُوا يَحْمِلُونَ الْعِصِيَّ وَالْحِجَالَ .

وَخَرَجُوا يَضْحَكُونَ وَيَمْرُحُونَ ، الْيَوْمَ يَوْمَ الْفَنِّ!

الْيَوْمَ يَرَى الْمَلِكُ صَنِيعَنَا ، الْيَوْمَ يَرَى الْقَوْمَ فَضَلْنَا!

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤١] .

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٢] .

وَهَذِهِ جَائِزَةُ الْمَلُوكِ! وَهَذَا عَطَاءُ الْمَلُوكِ .

وَهَذَا الَّذِي يُخَدَعُ بِهِ الرَّجَالُ ، وَهَذَا الَّذِي يُصَادُ بِهِ الْأَبْطَالُ .

وَفِرْحَ السَّحَرَةِ بِمَوَاعِيدِ فِرْعَوْنَ .

٢٤- بين الحق والباطل

﴿ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٣] .

﴿ فَأَلْقَوْا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤] .

وَرَأَى النَّاسُ عَجَبًا ، حَيَّاتٌ تَسْعَى فِي الْمِيدَانِ ، وَدَهَشَ النَّاسُ وَتَرَجَعُوا إِلَى الْخَلْفِ وَهَتَفُوا : حَيَّاتٌ ! حَيَّاتٌ !

وَرَأَى مُوسَىٰ مَا رَأَى النَّاسُ وَتَعَجَّبَ .

﴿ فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَى ﴾ [الشعراء: ٤٤] .

وَخَطَرَ فِي قَلْبِ مُوسَىٰ خَاطِرٌ خَوْفٍ !

وَلِمَاذَا لَا يَخَافُ مُوسَىٰ ؟

هَذَا يَوْمَ الرَّهَانِ ! وَعِنْدَ الْاِمْتِحَانِ يُكْرَمُ الرَّجُلُ أَوْ يُهَانُ .

وَإِذَا غَلَبَ السَّحْرَةُ - لَا قَدَرَ اللَّهُ ذَلِكَ .

وَإِذَا غَلَبَ مُوسَىٰ - لَا سَمَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ .

فَمَاذَا يَكُونُ ؟ الْعِيَاذُ بِاللَّهِ !!

وَلَيْسَ غَلَبُ مُوسَىٰ غَلَبَ رَجُلٍ ، بَلْ هُوَ غَلَبُ دِينٍ أَمَامَ مَلِكٍ .

بَلْ هُوَ غَلَبُ حَقٍّ أَمَامَ بَاطِلٍ .

لَا قَدَرَ اللَّهُ ذَلِكَ ! لَا سَمَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ !

وَلَكِنَّ اللَّهَ شَجَّعَهُ وَقَالَ :

﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ [طه: ٦٨] .

﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ .

[طه: ٦٩]

﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨١)

﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١، ٨٢] .

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥] .

﴿فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨] .

وَدَهَشَ السَّحَرَةَ وَبُهِتُوا .

أي شيء هذا؟ إِنَّا نَعْرِفُ السِّحْرَ وَأَصْلَهُ ، وَإِنَّا نَعْرِفُ السِّحْرَ وَأَنْوَاعَهُ .
وَنَحْنُ أَسَاتِذَةُ الْفَنِّ ! وَنَحْنُ أَيْمَةُ الْفَنِّ .

هَذَا لَيْسَ مِنَ السِّحْرِ ! هَذَا لَيْسَ مِنَ السِّحْرِ !

لَوْ كَانَ مِنَ السِّحْرِ لَضْرَبْنَا السِّحْرَ بِالسِّحْرِ ، وَقَرَعْنَا الْفَنَّ بِالْفَنِّ !
وَلَكِنْ اضْمَحَلْ فَنَّا أَمَامَ هَذَا ، وَذَابَ كَمَا يَذُوبُ النَّدى أَمَامَ الشَّمْسِ .

فَمِنْ أَيْنَ هَذَا؟ هَذَا مِنَ اللَّهِ !

اقتنع السحرة بأن موسى نبي ، وأن الله قد منحه معجزة فصرخوا وهتفوا :

﴿قَالُوا أَمْ نَارِيبُ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿ [الشعراء: ٤٧، ٤٨] .

﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُبْحًا قَالُوا أَمْ نَارِيبُ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠] .

٢٥. وعيد فرعون

وَجَنَّ جُنُونَ فِرْعَوْنَ .

وَقَامَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ وَبَرَقَ فِرْعَوْنُ ، وَرَعَدَ مَسْكِينُ فِرْعَوْنُ وَقَعَ مَا لَمْ يَكُنْ
يَرْجُوهُ .

إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَهْزِمَ مُوسَى بِالسَّحَرَةِ ، فَأَصْبَحَ السَّحَرَةُ جُنْدُ مُوسَى .

إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَصُدَّ النَّاسَ عَنْ مُوسَى ، فَجَاءَ بِالسَّحَرَةِ فِإِذَا بِهِمْ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ .
إِنْ سِهَامَهُ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ ، كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ الْأَجْسَامِ .

وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ ، كَمَا أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْأَلْسِنَةِ .

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي مِصْرَ أَنْ يَعْتَقِدَ شَيْئًا بِشَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَقَالَ فِي كِبَرٍ وَجَبْرُوتٍ :

﴿ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ ؟﴾

وَرَمَاهُمْ فِرْعَوْنُ بِسَهْمٍ مِنْ سِهَامِ الْمُلُوكِ فَقَالَ :

﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٧١] .

وَرَمَاهُمْ بِسَهْمٍ فَقَالَ :

﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمْوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمُونَ﴾ .

[الأعراف: ١٢٣]

وَرَمَاهُمْ بِسَهْمٍ ثَالِثٍ مَسْمُومٍ هُوَ السَّهْمُ الْأَخِيرُ فِي كِنَانَةِ الْمُلُوكِ .

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٤٩] .

وَتَلَقَى الْمُؤْمِنُونَ السَّهَامَ كُلَّهَا بِجَنَّةِ الْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ وَقَالُوا:

﴿قَالُوا لَا صَبِيرٌ لَنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠].

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٥١].

وَقَالُوا فِي إِيْمَانٍ وَحَمَاسَةٍ:

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٧٣) إِنَّهُ مَنْ

يَأْتِ رَبَّهُ بِحُجْرٍ مَافَانَ لَهُ، جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ

فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٧٥) جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ

تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٤].

٢٦- سفاهة فرعون

وَاهْتَمَّ فِرْعَوْنُ بِأَمْرِ مُوسَى كَثِيرًا وَطَارَ نَوْمُهُ.

وَبَقِيَ فِرْعَوْنُ لَا يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ.

وَأَثَارَ غَضَبِهِ الْآخَرُونَ أَيْضًا وَقَالُوا:

﴿أَنْذَرْتُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَتَّكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]!؟

وَعَضِبَ فِرْعَوْنُ وَثَارَ.

﴿قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُصَدِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَهْلَ مِصْرَ عَنْ مُوسَى بِكُلِّ حِيلَةٍ.

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ: ﴿يَنْفَعُوا أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٥١) [الزخرف]؟

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ بَيْنِي﴾ [الزخرف: ٥٢]؟

وَقَالَ فِرْعَوْنُ فِي رَزَانِهِ وَحِلْمٍ :

﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

كَأَنَّهُ فَتَشَ كَثِيرًا ، وَفَكَرَّ كَثِيرًا وَنَصَحَ لِقَوْمِهِ .

وَقَالَ فِي سَفَاهَةٍ وَجُنُونٍ :

﴿فَأَوْذَىٰ يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي

لَأُظَنُّهُ، مِنْ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وَأَوْقَدَ هَامَانَ عَلَى الطِّينِ ، وَبَنَى صَرْحًا وَلَكِنْ إِلَىٰ أَيْنَ ؟ تَعِبَ هَامَانُ

وَتَعِبَ الْبَنَّاؤُونَ وَنَفِدَ الطِّينُ وَالْأَجْرُ .

وَلَا يَزَالُ فِرْعَوْنُ بَعِيدًا لَمْ يَصِلْ إِلَى السَّحَابِ فَضَلَا عَنِ الْقَمَرِ .

وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الْقَمَرِ فَضَلَا عَنِ الشَّمْسِ .

وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الشَّمْسِ ، فَضَلَا عَنِ الْكَوَاكِبِ .

وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الْكَوَاكِبِ فَضَلَا عَنِ السَّمَاءِ .

وَخَابَ فِرْعَوْنُ وَخَجِلَ ، وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ .

مَسْكِينٌ أَلَا يَدْرِي أَنَّ اللَّهَ « خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى » .

﴿لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: ٦].

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ .

وَلَمْ يَجِدْ فِرْعَوْنُ حِيلَةً إِلَّا أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى ، وَحُجَّتْهُ أَنْ مُوسَى يُظْهِرُ فِي

الْأَرْضِ الْفَسَادَ .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ

يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٨].

قصص النبيين

للأطفال

القسم الثاني

تأليف

أبي الحسن علي الحسيني الندوي

obeikandi.com

١- نظرة على القصص السابقة

قرأتم قصة سيدنا إبراهيم وسيدنا يوسف ، وقرأتم قصة سيدنا نوح وسيدنا هود وسيدنا صالح ، قرأتم قصة سيدنا موسى في شيء من التفصيل والتطوير ، قرأتم كل ذلك بشوق ورغبة ، وإجلال وتقدير ، وحلت في نفوسكم وقلوبكم محل القصص الحبيبة الأثيرة ، ووعتها ذاكرتكم ، وذلت بها ألسنتكم ، وقد رآكم الناس تحكونها لإخوتكم الصغار ، وترددونها للأبوين ، والإخوة الكبار ، وأنتم تتذوقونها ، وقد تتحمسون في حكايتها .

٢- قصة صراع بين الحق والباطل

ولا غرابة فإنها قصص شائقة مثيرة ، وإنها قصة صراع بين الحق والباطل ، وبين العلم والجهل وبين النور والظلام ، وبين الإنسانية والوحشية ، وبين الجزم واليقين ، والظن والتخمين .

ثم إنها قصة انتصار للحق على الباطل ، والعلم على الجهل ، والضعيف على القوي ، والقليل على الكثير ، قصة فيها علم وحكمة وموعظة وذكرى ، وصدق الله العظيم :

﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[يوسف: ١١١]



قصة
مؤمن آل فرعون



obeikandi.com

١- مؤمن آل فرعون ﴿٣٠﴾

وَلَمَّا أَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُقْتَلَ مُوسَى قَامَ رَجُلٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ وَقَالَ :

﴿أَنْقُتُونِ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

وَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ : لِمَ إِذَا تَتَعَرَّضُونَ لِمُوسَى وَلِمَ إِذَا تُؤْذُونَهُ ؟

إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَاتْرُكُوهُ وَشَأْنُهُ وَخَلُّوا سَبِيلَهُ .

﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ [غافر: ٢٨].

وَإِذَا أَدَيْتُمُوهُ وَوَقَعْتُمْ بِهِ وَكَانَ نَبِيًّا فَلَكُمْ الْوَيْلُ .

﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

وَيَا إِخْوَانِي لَا تَغْتَرُّوا بِمُلْكِكُمْ ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِقُوَّتِكُمْ وَجُنُودِكُمْ .

﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ .

[غافر: ٢٩]

وَكَانَ جَوَابُ فِرْعَوْنَ أَنْ قَالَ :

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

وَأَرَادَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ أَنْ يُحَذِّرَ قَوْمَهُ سُوءَ الْعَاقِبَةِ ، وَمَصِيرَ الظَّالِمِينَ فَقَالَ :

﴿يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ

وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣٠، ٣١].

وَخَوْفُهُمُ الرَّجُلَ الرَّشِيدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَمَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؟

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَجِيهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ

يُعِينُهُ﴾ [عبس: ٣٤] .

﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] .

﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] .

يَوْمَ يَفِرُّ النَّاسُ وَيَصْرُخُونَ وَيُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَوْمَ يُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ .
فَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ :

﴿وَيَقُومِرَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهَالِكُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣] .

وَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَهَبَكُمْ نِعْمَةً وَلَكِنَّكُمْ ، مَا عَرَفْتُمْ فَضْلَهَا
وَمَا قَدَرْتُمُوهَا حَقَّ قَدْرِهَا ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَتْ تَأَسَّفْتُمْ عَلَيْهَا .

ذَلِكَ يُوسُفُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ الَّذِي ، مَا عَرَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَقْدِرُوهُ
قَدْرَهُ .

وَلَكِنَّهُ لَمَّا مَاتَ قُلْتُمْ : سُبْحَانَ اللَّهِ نَبِيٌّ وَلَا كَيْوُسُفَ .

وَمَنْ لَنَا بِنَبِيِّ بَعْدَهُ ؟! مَنْ لَنَا بِمِثْلِهِ ؟!

أَبَدًا ! لَنْ يَأْتِيَ مِثْلُهُ !

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا

هَلَاكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴿ [غافر: ٣٤] .

كَذَلِكَ تَفْعَلُونَ بَعْدَ هَذَا النَّبِيِّ أَيُّضًا ! وَتَنْدُمُونَ !

٢- نصيحة الرجل ﴿

وَوَعظَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ وَبَدَلَ لَهُمْ وُدَّهُ وَنَصِيحَتَهُ .

﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿ [غافر: ٣٨] .

وَعَلِمَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ أَنَّ الْقَوْمَ فِي سَكْرَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

وَأَنَّ فِرْعَوْنَ مَغْرُورٌ بِمُلْكِهِ وَقُوَّتِهِ .

وَلَكِنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ حُلْمٌ مِنَ الْأَحْلَامِ ، وَأَنَّ الدُّنْيَا ظِلٌّ زَائِلٌ .

وَعَرَفَ الرَّجُلُ مَا يَمْنَعُ الْقَوْمَ مِنْ اتِّبَاعِ مُوسَى ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ سُكَارَى بِسَكْرَةِ

الدُّنْيَا .

وَالسُّكْرَانُ مَا يَسْمَعُ وَمَا يَشْعُرُ .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ حَيْثُ لَا يَسْمَعُونَ صَوْتَ مُوسَى .

فَأَرَادَ أَنْ يُنَبِّهَهُمْ مِنْ غَفْلَتِهِمْ فَقَالَ :

﴿ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿

[غافر: ٣٩]

وَطَفِقَ الْجَهَّالُ مَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْكُفْرِ وَالشُّرْكَ ، وَيَدْعُوهُ إِلَى دِينِ الْآبَاءِ .

فَإِذَا قَالَ لَهُمْ : تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ ، قَالُوا لَهُ : ارْجِعْ إِلَى دِينِ الْآبَاءِ .

وَلَمَّا بِالْغَوَا فِي الدَّعْوَةِ قَالَ لَهُمْ :

﴿ وَيَقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النُّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿ [غافر: ٤١] .

﴿ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ

الْعَفْرِ ﴾ [غافر: ٤٢].

وَقَالَ لَهُمُ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ: أَيُّ نَبِيِّ جَاءَ مِنْ آلِهَتِكُمْ؟

وَأَيُّ كِتَابٍ نَزَلَ؟ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ؟

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [النجم: ٢٣].

وَهُؤُلَاءِ رُسُلُ اللَّهِ دَعَوْا إِلَى اللَّهِ، ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُوسُفُ، وَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ

مُوسَى.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ لَهُ دَعْوَةٌ.

﴿ لَاجِرْمَ أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ﴾.

وَلَمَّا لَيْسَ الرَّجُلُ مِنْ هِدَايَتِهِمْ، وَسَمَّ الرَّجُلُ مِنْ بِلَادِهِمْ تَرَكَهُمْ وَقَالَ

لَهُمْ:

﴿ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾.

[غافر: ٤٤]

وَعَضِبَ النَّاسُ وَأَرَادَ أَلُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَهُ اللَّهُ وَأَهْلَكَ

أَعْدَاءَهُ:

﴿ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥].

٣- زوج فرعون

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ الْأَجْسَامِ .
 وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْأَلْسِنَةِ .
 وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي مِصْرَ أَنْ يَعْتَقِدَ شَيْئًا أَوْ يُؤْمِنَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ .
 وَكَانَ إِذَا آمَنَ أَحَدٌ بِمُوسَى فِي أَقْصَى مَمْلَكَةِ مِصْرَ جُنَّ جُنُونٌ فِرْعَوْنَ .
 وَقَامَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ ، وَبَرَاقَ فِرْعَوْنُ وَرَعَدَ .
 وَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ بِمُوسَى قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَهُ ؟!
 يَعِيشُ فِي مَمْلَكَتِي وَيَعْصِنِي ، وَيَأْكُلُ رِزْقِي وَيَكْفُرُنِي ؟!
 أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ رَجُلٍ فِي مِصْرَ مِنْ نَفْسِهِ .
 وَيَنْسَى فِرْعَوْنُ أَنَّهُ يَعِيشُ فِي مَمْلَكَةِ اللَّهِ وَيَعْصِيهِ ، وَيَأْكُلُ رِزْقَ اللَّهِ وَيَكْفُرُ بِهِ .
 وَآرَاهُ اللَّهُ آيَةَ فِي بَيْتِهِ ، آيَةً فِي أَهْلِهِ .
 آرَاهُ اللَّهُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ ، كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ الْأَجْسَامِ .
 وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ ، كَمَا أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْأَلْسِنَةِ .
 وَأَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .
 دَخَلَ الْإِيمَانَ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ، وَلَا يَمْلِكُ شَيْئًا .
 وَآمَنَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ بِاللَّهِ ، وَكَفَرَتْ بِفِرْعَوْنَ .
 وَآمَنَتْ بِمُوسَى عَلَى رَغْمِ زَوْجِهَا مَلِكِ مِصْرَ .
 وَآمَنَتْ بِمُوسَى أَعْلَمَ خَلْقِ اللَّهِ بِفِرْعَوْنَ ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ .

وَلَمْ يَصْنَعْ شُرْطَةَ فِرْعَوْنَ شَيْئًا ، وَلَمْ يَشْعُرُوا بِذَلِكَ وَلَهُمْ شَأْمَةُ النَّمْلِ ،
وَعُيُونُ الْعُرَابِ .

وَلَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ فِرْعَوْنُ وَهُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهَا .

وَلَوْ عَلِمَ بِذَلِكَ فِرْعَوْنُ مَاذَا فَعَلَ ؟ إِنَّهُ يَمْلِكُ الْجِسْمَ وَلَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُ الْعَقْلَ .

وَإِنَّ لَهُ سُلْطَانًا وَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْقَلْبِ سُلْطَانٌ .

عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تُطِيعَ زَوْجَهَا ، وَلَكِنْ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ .

عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُطِيعَ آبَاؤَهُ ، وَأَنْ يَكُونَ بِهِمَا بَارًا رَشِيدًا ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَنْ
يُطِيعَهُمَا فِي الشَّرِكِ .

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي

الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٥] .

وَاسْتَقَامَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَكَانَتْ تَعْبُدُ اللَّهَ فِي بَيْتِ عَدُوِّ اللَّهِ .

وَكَانَتْ تَخَافُ اللَّهَ وَتَبَرَّأَتْ إِلَى اللَّهِ مِمَّا يَعْمَلُ فِرْعَوْنُ .

وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَأَنْجَاهَا اللَّهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ، وَضَرَبَهَا اللَّهُ

مَثَلًا لِلْمُؤْمِنِينَ لِإِيمَانِهَا وَشَجَاعَتِهَا .

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَاتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا

فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحریم: ١١] .

٤- محنة بني إسرائيل

وَلَمَّا عَلِمَ النَّاسُ عَدَاوَةَ فِرْعَوْنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، تَقَرَّبُوا إِلَى فِرْعَوْنَ بَعْدَ أَوْتِهِمْ
وَإِيدَانِهِمْ .

وَاجْتَرَأَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَطْفَالَ وَهَرَّتُهُمُ الْكِلَابُ .

فَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِحْنَةٌ جَدِيدَةٌ ! وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بَلِيَّةٌ نَازِلَةٌ .

وَمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُسَلِّيهُمْ وَيُوصِيهِمْ بِالصَّبْرِ ، وَيَقُولُ لَهُمْ :

﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] .

وَسَمِعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هَذِهِ الْمِحْنَةَ وَهَذَا الْأَذَى وَقَالُوا لِمُوسَى :

لَمْ تَنْفَعْنَا شَيْئًا ، لَمْ تُغْنِ عَنَّا شَيْئًا .

﴿ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف: ١٢٩] .

وَلَكِنَّ مُوسَى لَمْ يَجْزَعْ ، وَلَكِنَّ مُوسَى لَمْ يَيْئَسْ .

﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ كُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ

كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩] .

﴿ وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤] .

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٥) وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنْ

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [يونس: ٨٥] .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَمْنَعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَيَغْضَبُ إِذَا رَأَاهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُصَلُّونَ لَهُ .

وَكَانَ يَمْنَعُهُمْ مِنْ أَنْ يَتَّخِذُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَكَانَ يَغْضَبُ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ .

مَا أَجْهَلَ فِرْعَوْنَ ! الْأَرْضُ لِلَّهِ لَا لِفِرْعَوْنَ !

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ عَلَى أَرْضِ اللَّهِ ؟!

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دَعَا إِلَى عِبَادَتِهِ عَلَى أَرْضِ اللَّهِ ؟!

وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ مَا كَانَ يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَ أَحَدًا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فِي بَيْتِهِ .

فَأَمَرَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى : ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [يونس: ٨٧] .

وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ وَعَجَزَتْ شُرْطَتُهُ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعِبَادَةِ اللَّهِ .

وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ ؟! وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَعِبَادَةِ اللَّهِ ؟!

٥- المجاعات

وَلَمَّا طَغَى فِرْعَوْنُ وَأَسْرَفَ فِي الْغَفْلَةِ وَالْعِنَادِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُنَبِّهَهُ .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ! إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ بَلِيدًا جَدًّا ، ضَاعَتْ فِيهِ الْحِكْمَةُ وَالْمَوْعِظَةُ .

وَالْحِمَارُ لَا يَنْتَبَهُ حَتَّى يُضْرَبَ .

فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُنَبِّهَهُ .

وَمِصْرَ بِلَادٌ مُخَصَّبَةٌ خَضْرَاءُ ، بِلَادُ الْخَيْرَاتِ وَالْأَثْمَارِ وَبِلَادُ الْحُبُوبِ .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ كَيْفَ أَنْجَدَتِ مِصْرُ بِلَادًا بَعِيدَةً أَيَّامَ الْمَجَاعَةِ فِي عَهْدِ يُوسُفَ

الْعَلِيِّ .

وَكَيفَ أَنْجَدَتِ مِصْرُ أَهْلَ الشَّامِ وَأَهْلَ كَنْعَانَ .

وَالنَّيْلُ هُوَ الَّذِي يُرْوِي أَرْضَ مِصْرَ وَيَسْقِي زُرُوعَهُمْ .

وَهُوَ مَنبَعُ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ فِي مِصْرَ .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ ، وَأَهْلُ مِصْرَ يَظُنُّونَ أَنَّ النَّيْلَ هُوَ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ .

وَأَنَّ مِصْرَ غَنِيَّةٌ بِالنَّيْلِ عَنِ الْمَطَرِ ، وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الرِّزْقِ .

وَأَنَّ اللَّهَ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ .

وَأَنَّ النَّيْلَ يَجْرِي بِأَمْرِهِ وَيَفِيضُ بِأَمْرِهِ .

وَأَمَرَ اللَّهُ النَّيْلَ فَعَاضَ ، مَاؤُهُ وَذَهَبَ فِي الْأَرْضِ .

فَمَاذَا يُرْوِي زُرُوعَ أَهْلِ مِصْرَ ؟!

نَقَصَتْ ثَمَرَاتُهُمْ ، وَنَقَصَتْ حُبُوبُهُمْ ، وَكَانَتْ مَجَاعَةٌ بَعْدَ مَجَاعَةٍ .

وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ ، وَعَجَزَ هَامَانُ ، وَعَجَزَتْ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ عَنْ كُلِّ حِيلَةٍ .

هُنَالِكَ عَلِمَ أَهْلُ مِصْرَ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَيْسَ رَبَّهُمْ ، وَأَنَّ الرِّزْقَ بِيَدِ اللَّهِ .

وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعِ فِرْعَوْنَ ، وَلَمْ يَنْفَعِ أَهْلَ مِصْرَ وَلَمْ يُنَبِّهِمْ .

وَحَالَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ .

قَالُوا : هَذِهِ الْمَجَاعَاتُ ، وَهَذِهِ السَّنُونَ مِنْ شُرْمِ مُوسَى وَقَوْمِهِ .

يَا لِلْعَجَبِ ! أَلَمْ يَكُنْ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ؟!

أَلَمْ يَكُنْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُنذُ زَمَنْ بَعِيدٍ؟!
 بَلْ ذَلِكَ مِنْ شُرُومِ أَعْمَالِهِمْ ، بَلْ ذَلِكَ مِنْ شُرُومِ كُفْرِهِمْ .
 وَعَاندَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمُهُ وَقَالُوا : إِنَّا لَا نَخْضَعُ لِهَذَا السَّحْرِ .
 ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[الأعراف: ١٣٢]

٦- خمس آيات

وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً أُخْرَى .
 أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمْطَارَ ، ففَاضَ النَّيْلُ .
 وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ ، وَأَمْطَرَتْ وَأَمْطَرَتْ ، وَأَمْطَرَتْ .
 حَتَّى غَرِقَتِ الزَّرُّوعُ وَالْحُقُولُ ، وَتَلَفَتِ الْحُبُوبُ وَالشَّمَارُ .
 وَعَادَ الْمَطَرُ عَلَيْهِمْ وَبَالًا .
 وَبَيْنَمَا هُمْ يَشْكُونَ قِلَّةَ الْمَاءِ ، إِذَا هُمْ يَشْكُونَ كَثْرَةَ الْمِيَاهِ .
 ثُمَّ أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ يَأْكُلُ الزَّرُّوعَ ، وَالْحُقُولَ وَيَقَعُ عَلَى الْأَشْجَارِ ، فَلَا
 يَذُرُ مِنْهَا شَيْئًا .

وَعَجَزَتِ جُنُودُ فِرْعَوْنَ وَشُرَطَتُهُ ، عَنْ قِتَالِ جُنْدِ اللَّهِ .
 وَكَيْفَ يُقَاتِلُونَهُ ، وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ السُّيُوفُ ، وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ السَّهَامُ .
 هُنَالِكَ عَلِمَ أَهْلُ مِصْرَ ضَعْفَ فِرْعَوْنَ ، وَعَجَزَ هَامَانَ ، وَقِلَّةَ حِيلَةِ الشَّرْطَةِ .
 وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَّبِعُوا ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَّبِعُوا .
 فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جُنْدًا آخَرَ ، ذَلِكَ هُوَ الْقُمَّلُ .

وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلُ ، فَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

الْقُمَّلُ فِي الْفِرَاشِ ، وَالْقُمَّلُ فِي الثِّيَابِ ، وَالْقُمَّلُ فِي الرَّأْسِ ، وَالْقُمَّلُ فِي الشَّعْرِ .

فَطَارَ نَوْمُهُمْ وَبَاتُوا يَقْصَعُونَ ^(١) الْقُمَّلَ وَيَسْبُونَهِ ، حَتَّى يُصْبِحُوا .

وَكَيفَ يُقَاتِلُونَهُ ، وَالْقُمَّلُ لَا تَعْمَلُ فِيهِ السُّيُوفُ ، وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ السَّهَامُ ، وَلَا يُنْجِدُهُمْ فِي ذَلِكَ جُنُودُهُمْ وَشُرَطَتُهُمْ .

ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ ، فَفِي الطَّعَامِ ضَفَادِعُ ، وَفِي الشَّرَابِ ضَفَادِعُ ، وَبَيْنَ مَلَابِسِهِمْ ضَفَادِعُ .

وَسَمُّوا هَذِهِ الضَّفَادِعَ وَتَنَعَّصَ عَيْشُهُمْ .

وَانْتَشَرَتِ الضَّفَادِعُ ، وَفَشَتْ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْبَيْتِ .

تِلْكَ تَنِقُ ^(٢) وَهَذِهِ تَثِبُ هُنَا وَتِلْكَ تَقْفِرُ هُنَاكَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ وَاحِدَةً إِلَّا وَتَأْتِي عَشْرًا وَلَا يُخْرِجُونَ وَاحِدَةً إِلَّا وَتَظْهَرُ خَمْسٌ كَأَنَّهَا تُولَدُ فِي الْبَيْتِ .

عَجَزَتِ الْحُرَاسُ ، وَعَجَزَتِ الشُّرَطَةُ عَنِ الضَّفَادِعِ .

وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةَ خَامِسَةً ، ذَلِكَ هُوَ الدَّمُ .

فَسَأَلَ الرُّعَافُ مِنْ أَنَا فِيهِمْ ، وَضَعِفُوا وَتَعَبُوا جِدًّا .

وَعَجَزَ الْأَطْبَاءُ عَنِ الْعِلَاجِ وَلَمْ يَنْفَعَهُمْ دَوَاءٌ .

وَكَلَّمَا رَأَوْا آيَةَ قَالُوا لِمُوسَى ، ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنَّا الْبَلَاءَ وَنُتَوِّبُ

وَنُؤْمِنُ مِنْ وَنُرْسِلَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

(١) قَصَعُ الْقُمَّلَةَ بظفره : قتلها .

(٢) تصوت .

فَلَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْبَلَاءَ نَكثُوا عَهْدَهُمْ .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٣] .

٧- الخروج

وَصَاقَتْ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْضُ مِصْرَ وَهِيَ وَاسِعَةٌ .
وَمَا يَصْنَعُونَ بِخُصْبِ مِصْرَ وَخَيْرَاتِهَا ، وَهُمْ فِي سِجْنٍ يَذُوقُونَ كُلَّ يَوْمٍ
صُنُوفًا مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَوَانِ !؟

إِلَىٰ مَتَىٰ يَصْبِرُونَ ، أَلَيْسُوا بَنِي آدَمَ يَشْعُرُونَ بِالْأَذَىٰ وَالْأَلَمَ ؟!
وَأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ يَسْرِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا وَيَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ .
وَأَحْسَ بِذَلِكَ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ ، وَلَهُمْ عَيْونُ الْعُرَابِ وَشَامَةُ النَّمْلِ ، وَأَخْبَرُوا
بِذَلِكَ فِرْعَوْنَ .

سَارَ مُوسَىٰ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي اللَّيْلِ نَحْوَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ
سَبْطًا كُلُّ سَبْطٍ عَلَيْهِ أَمِيرٌ .
وَالطَّرِيقُ إِلَىٰ الشَّامِ طَرِيقٌ وَاضِحٌ مَعْلُومٌ ، بَرٌّ يَصِلُ بَيْنَ الْبَرَيْنِ وَقَدْ جَازَهُ
مُوسَىٰ مَرَّتَيْنِ (١) .

وَلَكِنَّ مُوسَىٰ أَرَادَ أَمْرًا ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا ، وَكَانَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ .
أَخْطَأَ مُوسَىٰ الطَّرِيقَ ، وَحَيْثُ أَخْطَأَ مُوسَىٰ أَصَابَ الْقَدْرُ .
ظَنَّ مُوسَىٰ أَنَّهُ يَسِيرُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَىٰ جَانِبِ الشَّمَالِ .

(١) مرة ذهابًا إلى مدين ، ومرة إيابًا إلى مصر .

فَإِذَا بِهِمْ فِي ظِلَامٍ اللَّيْلِ إِلَى جَانِبِ الشَّرْقِ (١) .
 وَإِذَا بِهِمْ أَمَامَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ تَتَلَاطَمُ أَمْوَاجُهُ .
 يَا حَافِظُ ، يَا سَائِرُ ، أَيَّنَ نَحْنُ ؟
 كَانَ الْجَوَابُ : إِنَّا أَمَامَ الْبَحْرِ .
 وَالتَّفُؤَا إِلَى الْوَرَاءِ فَإِذَا بِغَبَارٍ سَاطِعٍ .
 وَإِذَا بِجُنْدٍ عَظِيمٍ قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ .
 هُنَالِكَ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ .
 يَا بَنَ عِمْرَانَ ، مَاذَا أَنْكَرْتَ مِنَّا حَتَّى دَبَّرْتَ قَتْلَنَا .
 وَجِئْتَ بِنَا إِلَى شَطِّ الْبَحْرِ ، لِيَقْتُلْنَا فِرْعَوْنُ قَتَلَ الْفِئْرَانَ حَيْثُ لَا فِرَارَ وَلَا
 نَجَاةَ .

لَا نَذْكُرُ إِلَيْكَ سُوءًا فَلِمَاذَا هَذَا الْاِنْتِقَامُ ؟!
 أَلَمْ يَكْفِكَ مَا أَصَابَنَا مِنَ الْجُهْدِ وَالْبَلَاءِ ، لِأَجْلِكَ حَتَّى جِئْتَ بِنَا إِلَى هُنَا ؟!
 هَا هُوَ الْبَحْرُ أَمَامَنَا ، وَهَآ هُوَ الْعَدُوُّ وَرَاءَنَا ، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الْمَوْتُ .
 هُنَالِكَ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فِي عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَاسْتَوَلَى
 الْيَأْسُ ثُمَّ خَفَّتِ الْأَصْوَاتُ .

هُنَالِكَ تَزَلَزَلَ كُلُّ أَحَدٍ ، وَحُقَّ لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ أَنْ تَتَزَلَزَلَ .
 وَلَكِنَّ إِيمَانَ مُوسَى بِرَبِّهِ لَمْ يَتَزَلَزَلْ ، وَسَمِعَ النَّاسُ صَوْتًا فِيهِ جَلَالُ النَّبُوَّةِ .

﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢] .

(١) يحسن بالمعلم أن يستلف الطلبة إلى خارطة مصر .

وَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَحْرَ .
فَضْرَبَ فَانْفَلَقَ الْبَحْرُ ، وَقَامَ الْمَاءُ عَلَى كُلِّ جَانِبٍ كَالْجِبَلِ .
وَإِذَا اثْنَا عَشَرَ طَرِيقًا لِاثْنَيْ عَشَرَ سِبْطًا لِكُلِّ سِبْطٍ طَرِيقٌ .
وَسَارَ الْقَوْمُ آمِنِينَ وَوَصَلُوا إِلَى بَرِّ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ .

٨ - غرق فرعون

وَرَأَى فِرْعَوْنُ كَيْفَ سَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَعَبَّرُوا الْبَحْرَ آمِنِينَ .
وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِحُجُودِهِ : انظُرُوا إِلَى الْبَحْرِ كَيْفَ انْفَلَقَ طَوْعًا لِأَمْرِي ، حَتَّى
أَخَذَ هَؤُلَاءِ الْفَارِينَ .

وَتَقَدَّمَ فِرْعَوْنُ بِحُجُودِهِ فَجَزَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مَرَّةً أُخْرَى .
هَا هُوَ الْعَدُوُّ هَا هُوَ الظَّالِمُ يُرِيدُ أَنْ يَعْبُرَ الطَّرِيقَ إِلَيْنَا .
وَلَا يَمْنَعُهُ مَنَّا شَيْءٌ ، وَسَيَلْحَقْنَا وَيَأْخُذُنَا إِلَى مَصْرَ مَأْسُورِينَ أَذِلَّةً ، أَوْ
يَقْتُلُنَا فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ غُرَبَاءَ .

وَأَرَادَ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَرَّ ، فَيَعُودُ بَحْرًا كَمَا كَانَ ، وَلَكِنْ أَوْحَى اللَّهُ
إِلَيْهِ : اتْرُكِ الْبَحْرَ سَاكِنًا : ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ [الدخان: ٢٤] .

وَلَمَّا وَصَلَ فِرْعَوْنُ وَحُجُودُهُ إِلَى عَرْضِ الْبَحْرِ « وَهُوَ بَرٌّ » انطَبَقَ عَلَيْهِمْ
وَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ الْجِدَّ زَالَتْ سَكْرَتُهُ .

﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠] .

وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ

أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُنَّ ﴿ [النساء: ١٨] .

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيْدِي رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] .

فَقِيلَ لَهُ : ﴿ ءَأَكْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١] .

وَمَاتَ فِرْعَوْنُ فِي الْبَحْرِ غَرَقًا .

مَاتَ الْجَبَّارُ الَّذِي قَتَلَ أُلُوفًا مِنَ الْأَطْفَالِ وَالرِّجَالِ ذُبْحًا وَحَنَقًا .

مَاتَ الطَّاغِيَّةُ قَتَلَ أُلُوفَ آلَافٍ صَبْرًا وَسَهْفًا .

مَاتَ مَلِكُ مِصْرَ بَعِيدًا عَنِ عَرْشِهِ بَعِيدًا عَنِ قَصْرِهِ ، بَعِيدًا عَنِ سُلْطَانِهِ لَا

طَبِيبٌ يُدَاوِيهِ وَلَا صَدِيقٌ يُوَاسِيهِ ، وَلَا عَيْنٌ تَبْكِيهِ .

وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي شَكٍّ عَنِ مَوْتِهِ يَقُولُونَ : إِنَّ فِرْعَوْنَ لَا يَمُوتُ .

أَمَا كُنَّا نَرَاهُ يَقْضِي أَيَّامًا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ ؟!

وَقَذَفَ الْبَحْرُ جُثَّتَهُ فَأَيَقْنُوا بِمَوْتِهِ .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِفِرْعَوْنَ : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِيَدِنَا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً ﴾

[يونس: ٩٢] ، لِلنَّاطِرِينَ وَعِبْرَةً لِّلْمُتَّبِعِينَ .

وَعَرَقَ جُنْدُ فِرْعَوْنَ عَنْ آخِرِهِ ، وَمَا نَجَا مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وَخَلَفُوا مِصْرَ وَرَاءَهُمْ ، وَلَمْ يَجِدُوا فِي أَرْضِهَا الْوَاسِعَةِ ذِرَاعًا لِمَدْفِنٍ .

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ ﴿٢٧﴾

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ .

٩- في البرية !

وَصَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ ، وَتَنَفَّسُوا فِي هَوَائِهِ كَالْأَحْرَارِ الْأَشْرَافِ .

هُنَالِكَ لَا يَخَافُونَ فِرْعَوْنَ ، وَلَا يَخَافُونَ هَامَانَ وَلَا يَخَافُونَ شُرَطَتَهُ .

هُنَالِكَ يَمْشُونَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ ، لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ .

وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْخَضِرِ وَكَانَتِ الشَّمْسُ تُؤْذِيهِمْ فِي الْبَرِّيَّةِ .

وَكَانُوا ضُيُوفَ اللَّهِ ، أَلَمْ تَرَ الْمُلُوكَ كَيْفَ يُكْرِمُونَ ضُيُوفَهُمْ ؟!

وَكَيفَ يَضْرِبُونَ لَهُمُ الْخِيَامَ تَقِيهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ ؟!

إِنَّ كَرَامَةَ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ كَرَامَةٍ .

وَأَمَرَ اللَّهُ الْغَمَامَ أَنْ يُظِلَّهُمْ ، فَكَانُوا يَمْشُونَ فِي ظِلِّ الْغَمَامِ ، وَكَانَ الْغَمَامُ يَسِيرُ مَعَهُمْ حَيْثُ سَارُوا وَيَقِفُ أَيْنَمَا وَقَفُوا .

وَعَطَشَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَلَا مَاءَ فِي الْبَرِّيَّةِ ، وَلَا نَهْرَ وَلَا بَيْتْرَ .

ذَهَبُوا إِلَى مُوسَى ، يَشْكُونَ إِلَيْهِ الْعَطَشَ ، كَمَا يَشْكُو الطِّفْلُ إِلَى أُمِّهِ وَيَسْتَعِيثُهَا .

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ ، وَمَنْ لَهُ غَيْرُهُ ؟!

فَقَالَ : ﴿ أَيْ أَضْرِبُ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ [الأعراف: ١٦٠] .

﴿ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦٠] .

وَجَاعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، فَشَكُّوا إِلَى مُوسَى الْجُوعَ ، كَمَا يَشْكُو الطِّفْلُ إِلَى أُمِّهِ

ويستغيثها .

وَقَالُوا إِنَّكَ أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ أَرْضِ الْفَوَاحِشِ وَالشَّمْرَاتِ ، وَأَرْضِ الْخَيْرَاتِ
وَالطَّيِّبَاتِ ، فَمَنْ لَنَا بِطَعَامٍ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ ؟

دَعَا مُوسَى رَبَّهُ وَمَنْ لَهُ غَيْرُهُ ؟ فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الطَّعَامَ .

أَنْزَلَ لَهُمْ عَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ مِثْلَ الْحَلْوَى ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ طَيْرًا يَأْخُذُونَهُ
مِنَ الْأَشْجَارِ بِسُهُولَةٍ .

ذَلِكَ هُوَ الْمَنْ وَالسَّلْوَى ، ضِيَاةُ اللَّهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ .

١٠- كفران بني إسرائيل

وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَفْسَدَ ذَوْقَهُمْ وَخَلَقَهُمُ الْعُبُودِيَّةَ الطَّوِيلَةَ .

وَكَانُوا لَا يَقْرُونَ عَلَى شَيْءٍ ، وَكَانُوا لَا يَسْكُنُونَ إِلَى شَيْءٍ ، وَكَانُوا فِي
طَبَاعِهِمْ أَطْفَالًا .

وَكَانُوا قَلِيلِي التَّشْكْرِ ، كَثِيرِي التَّشْكِيِّ ، سَرِيعِي السَّامَةِ ، يُحِبُّونَ مَا مُنِعُوا
وَيَكْرَهُونَ مَا أُعْطُوا .

وَلَمْ يَلْبَثُوا قَلِيلًا أَنْ قَالُوا لِمُوسَى : قَدْ سَمِمْنَا هَذَا الطَّعَامَ الْوَاحِدَ ، وَقَدْ
سَمِمْنَا هَذَا اللَّحْمَ وَهَذِهِ الْحَلْوَى .

وَقَدْ اسْتَهَيْنَا الْخَضِرَ وَالْبُقُولَ .

﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا
وَقَشَائِبِهَا وَقَوْمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١] .

تَعَجَّبَ مُوسَى مِنْ هَذَا السُّؤَالِ الْغَرِيبِ ، وَقَالَ بِصَوْتٍ فِيهِ الْإِنْكَارُ وَفِيهِ
الاستعجاب وَفِيهِ الْعِتَابُ .

﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١] !؟

أَبْتُولًا وَخَضَرَ مَكَانَ طُيُورٍ ، وَحَلَوَى لَمْ تَمَسَّهَا يَدُ إِنْسَانٍ ؟!

أَطْعَامَ الْفَلَاحِينَ بَدَلَ طَعَامِ الْمُلُوكِ ؟

يَا لَفَسَادِ الذُّوقِ ، يَا لَسُوءِ الْاِخْتِيَارِ .

وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَتَنَازَلُوا عَنْ سُؤَالِهِمْ ، وَلَمْ يَزَالُوا يَطْلُبُونَ الْخُضَرَ وَالْبُقُولَ .

فَقَالَ مُوسَى : إِنَّ مَا سَأَلْتُمْ يُوجَدُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ وَمِصْرٍ .

﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة: ٦١] .

١١- عناد بني إسرائيل

وَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي طَبَاعِهِمْ أَطْفَالًا ، وَأَطْفَالًا مُعَانِدِينَ .

وَكَلَّمَا أُمِرُوا بِأَمْرٍ يُخَالِفُوهُ إِلَى ضِدِّهِ وَيَسْتَهْزِؤُوا بِهِ .

كَانَهُمْ يَرُونَ الْوَاجِبَ أَنْ يُبَدِّلُوا مَا يُقَالُ لَهُمْ .

كَطِفْلٍ عَنِيدٍ يُقَالُ لَهُ : فُمْ فَيَجْلِسُ وَيُقَالُ لَهُ : اجْلِسْ فَيَقُومُ ، وَيُقَالُ لَهُ :

اسْكُتْ فَيَتَكَلَّمُ ، وَيُقَالُ لَهُ : تَكَلَّمْ فَيَسْكُتُ .

وَكَانَ فِيهِمْ عِنَادُ الْأَطْفَالِ فِي حُبِّ الْأَشْرَارِ ، فِي هُزْءِ الْأَعْدَاءِ فِي سَفَاهَةِ

الْمَجَانِينَ .

كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَسْكُنُوا قَرْيَةً ، وَيَأْكُلُوا طَعَامَهُمُ الشَّهِيِّ مِنَ الْخُضَرَ

وَالْبُقُولِ .

وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ : ﴿ ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا

الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَارِيزِدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ٥٨] .

غَضِبُوا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ ، وَدَخَلُوا الْقَرْيَةَ كَرَهًا ، وَهَزُّوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتِهِمْ .

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة: ٥٩] .
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَلَاءً ، وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ وَبَاءً مَاتُوا مِنْهُ مَوْتَ الْفِئْرَانِ .
وَإِذَا أُمِرُوا بِأَمْرٍ أَكْثَرًا أَسْرَبُوا ، وَتَنَقَّرُوا .
شَأْنُ رَجُلٍ لَا يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ ، فَيَكْثُرُ السُّؤَالُ وَالتَّنَقُّيرُ .
حَدَّثَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حَدِيثٌ قَتْلٍ ، فَأَهَمَّ ذَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ .
وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الْقَاتِلِ ، وَكَانَ السُّؤَالُ عَنِ الْقَاتِلِ حَدِيثَ النَّاسِ .
جَاءُوا إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَقَالُوا : أَعِنَّا يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَادْعُ اللَّهَ يُبَيِّنْ لَنَا الْقَاتِلَ .

١٢- البقرة

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ .
هُنَالِكَ حَلَّتِ الْمَصِيبَةُ ، وَبَدَأَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَسْأَلُونَ وَيَسْخَرُونَ .
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧] .
﴿ قَالُوا أَنْتَخَذْنَاهُنَّ أَعُوزًا ﴾ [البقرة: ٦٧] .
﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧] .
وَهُنَا أَرْسَلُوا الْأَسْئَلَةَ .
﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ [البقرة: ٦٨] .

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُمُرُونَ﴾ [البقرة: ٦٨].

وَلَمْ يَقْنُوا عَلَىٰ هَذَا السُّؤَالِ ، بَلْ بَدَّوْا وَيَسْأَلُونَ عَنْ لَوْنِهَا .

﴿قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩].

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩].

وَلَمْ يَجِدُوا سِوَالًا فَأَطْلَقُوا السُّؤَالَ .

﴿قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقْرُ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ .

[البقرة: ٧٠]

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ .

[البقرة: ٧١]

وَوَفَّقُوا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لِأَنَّهُمْ قَالُوا : ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠] فَاهْتَدَوْا .

وَلَكِنَّ أَسْنَلْتَهُمْ صَيَّقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ ، فَلَوْ ذَبَحُوا أَيَّ بَقَرَةٍ لَكَانَتْ كَافِيَةً ، وَلَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

وَفَتَّشُوا عَنِ الْبَقَرَةِ الْعَوَانِ الصَّفْرَاءِ الْفَاقِعِ لَوْنُهَا الَّتِي لَا تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ الْمُسَلِّمَةَ الَّتِي لَا شِيَةَ فِيهَا .

وَنَدَرَ وُجُودُ هَذِهِ الْبَقَرَةِ الْغَرِيبَةِ ، فَإِمَّا بَقَرَةٌ فَارِضٌ وَإِمَّا بَقَرَةٌ بِكْرٌ .

وَإِمَّا عَوَانٌ وَلَكِنَّ غَيْرَ صَفْرَاءٍ .

وَإِمَّا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صَفْرَاءٌ ، وَلَكِنَّ لَوْنُهَا غَيْرُ فَاقِعٍ .

وَأَمَّا بَقْرَةٌ عَوَانٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ، وَلَكِنَّهَا بَقْرَةٌ ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ .
 وَأَمَّا بَقْرَةٌ عَوَانٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا لَا تُثِيرُ الْأَرْضَ ، وَلَكِنَّهَا تَسْقِي الْحَرثَ .
 وَفَتَّشُوا وَفَتَّشُوا ، وَعَلِمُوا عَاقِبَةَ هَذَا التَّنْقِيرِ ، مَا هِيَ ؟ مَا لَوْنُهَا ؟ مَا هِيَ ؟
 وَتَعَبُوا .

وَأَرَادَ اللَّهُ بِبَيْتِهِمْ خَيْرًا فَوَجَدُوا هَذِهِ الْبَقْرَةَ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ ، فَاشْتَرَوْهَا
 بِثَمَنِ غَالٍ جِدًّا : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧١] .
 وَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُضْرَبَ الْمَقْتُولُ بِجُزءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْبَقْرَةِ ، وَيُخْبَرَ بِاسْمِ الْقَاتِلِ .
 وَهَكَذَا كَانَ .

١٣- الشريعة

وَخَرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ عَيْشِ الْبُهَائِمِ إِلَى عَيْشِ النَّاسِ .
 وَصَارُوا يَعِيشُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ كَالْأَحْرَارِ الْأَشْرَافِ .
 هُنَالِكَ يَعِيشُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ كَالْأَحْرَارِ الْأَشْرَافِ .
 هُنَالِكَ احْتَأَجُّوا إِلَى شَرِيعَةٍ إلهِيَّةٍ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ وَتُنِيرُ لَهُمُ السَّبِيلَ .
 إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ كِإِنْسَانٍ إِلَّا بِشَرِيعَةٍ إلهِيَّةٍ ، وَإِلَّا بُنِيَ مِنْ
 رَبِّهِ .

الْعَالَمُ كُلُّهُ إِلَّا مَنْ أَشْرَقَ لَهُ نُورٌ مِنْ رَبِّهِ .
 وَذَلِكَ النُّورُ هُوَ نُورُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ .
 وَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ بِهَذَا النُّورِ كَانَ فِي ضَلَالٍ يَخْبِطُ عَشَوَاءً .
 فَالْعَقَائِدُ — بغيرِ هَذَا النُّورِ — أَوْهَامٌ وَخُرَافَاتٌ يَضْحَكُ مِنْهَا الْأَطْفَالُ .

أَمَا سَمِعْتُمْ عَقَائِدَ الْمَشْرِكِينَ وَالْكَفَّارِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَخَرَافَاتِهِمْ
وَأَسَاطِيرَهُمْ !؟

وَالْعِلْمُ جَهْلٌ وَظَنٌّ ، وَتَخْمِينٌ وَشَكٌّ : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي
مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١١٦] .

وَالْأَخْلَاقُ تَفْرِيطٌ وَإِفْرَاطٌ وَتَقْصِيرٌ وَإِسْرَافٌ ، أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ
الْأَنْبِيَاءَ كَيْفَ يَهْضُمُونَ الْحُقُوقَ يُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ وَكَيْفَ يَتَّبِعُونَ الْهَوَى !؟
وَالْحُكْمُ وَالسِّيَاسَةُ ظُلْمٌ وَاسْتِبْدَادٌ ، وَخَبْطٌ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ وَحُقُوقِهِمْ
وَدِمَائِهِمْ .

أَمَا رَأَيْتُمْ أُولَى الْأَمْرِ - مِمَّنْ لَا يَخَافُونَ اللَّهَ وَلَا يَتَّبِعُونَ الشَّرِيعَةَ - كَيْفَ
يُخُونُونَ الْأَمَانَاتِ ، وَكَيْفَ يَعْبَثُونَ بِأَمْوَالِ اللَّهِ ، وَكَيْفَ يَعْبَثُونَ بِدِمَائِ النَّاسِ
وَحُقُوقِهِمْ !؟

وَكَيْفَ اسْتَعْبَدُوا النَّاسَ ، وَجَعَلُوهُمْ شِيْعًا يَذْبَحُونَ رِجَالَهُمْ ، وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَاءَهُمْ ، أَتَعْلَمُ كَمْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ الْأُولَى ، وَكَمْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ الثَّانِيَةِ ^(١)
فَالْعَالَمُ كُلُّهُ ظَلَامٌ إِلَّا مَنْ أَشْرَقَ لَهُ نُورٌ مِنْ رَبِّهِ .

﴿ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ بِهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ
نُورٍ﴾ [النور: ٤٠] .

وَالنَّبِيُّ يَعْلَمُ النَّاسَ كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ ، وَكَذَلِكَ يَعْلَمُهُمْ كَيْفَ يَعْمَلُ

(١) للعلم : عدد المصابين في الحرب الأولى الكبرى (١٩١٤-١٩١٨) على ما حققه الإنكليزي
السياسي الخبير أي - إليس تاونسند أكثر من سبعة وثلاثين مليوناً (٣٧٥١٣٨٨٦) رجلاً ،
المقتولون منهم (٨٥٤٣٥١٥) نسمة ، وقدر النائب البريطاني المستر ميكستن أن عدد المصابين
في الحرب الثانية الكبرى لا يقل عن خمسين مليون .

بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

وَالنَّبِيُّ يُعَلِّمُ النَّاسَ آدَابَ الْحَيَاةِ مَعَ آدَابِ الدِّينِ ، وَيُعَلِّمُهُمُ آدَابَ الْأَكْلِ ،
وَأَدَابَ الشُّرْبِ ، وَأَدَابَ النَّوْمِ وَأَدَابَ الْمَجْلِسِ وَأَدَابَ كُلِّ شَيْءٍ .
وَيُعَلِّمُهُمُ الْآدَابَ كَمَا يُعَلِّمُ الْوَالِدُ الشَّفِيقُ أَبْنَاءَهُ الْأَعَزَّةَ .

وَالنَّاسُ كَالْأَطْفَالِ الصَّغَارِ يَحْتَاجُونَ فِي كِبَرِهِمْ إِلَى تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ أَكْثَرَ مِمَّا
يَحْتَاجُونَ فِي صِغَرِهِمْ إِلَى تَرْبِيَةِ الْآبَاءِ .

وَالَّذِينَ لَمْ يَتَلَقَّوْا هَذِهِ التَّرْبِيَةَ النَّبَوِيَّةَ ، وَلَمْ يَتَعَلَّمُوا الْآدَابَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
كَأَشْجَارِ الْبَرِّيَّةِ ، نَبَتَتْ وَنَشَأَتْ بِنَفْسِهَا ، فَيَرَى فِيهَا عِوَجًا وَشَوْكًا وَفَسَادًا .

١٤- التوراة

وَأَرَادَ اللَّهُ الْأَلَّا يُضِيعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، كَمَا ضَاعَتْ أُمَّمٌ بَعِيرٍ كِتَابٍ ، وَهَدَى مِنْ
اللَّهِ .

وَأَرَادَ أَنْ لَا يَخْبِطُوا خَبِطَ عَشَوَاءَ كَمَا خَبِطَتْ أُمَّمٌ خَبِطَ عَشَوَاءَ .
أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَتَطَهَّرَ ، وَأَنْ يَصُومَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَأْتِي إِلَى طُورِ سَيْنَاءَ ،
حَتَّى يُكَلِّمَهُ رَبُّهُ وَيَتَلَقَّى كِتَابًا يَكُونُ لَهُمُ الْإِمَامُ .

وَاخْتَارَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ رَجُلًا ، يَكُونُونَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ؛
لَأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمٌ جَحْدٌ .

﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾
[الأعراف: ١٤٢] ؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ إِمَامٍ .

سَارَ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ ، وَلَكِنَّهُ حَثَّهُ الشَّوْقُ إِلَى رَبِّهِ ، فَتَعَجَّلَ وَسَبَقَ إِلَى
الطُّورِ .

قَالَ اللَّهُ : ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٣] ؟

﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] .

وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُتِمَّ مِيقَاتَ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً .

وَصَلَ مُوسَىٰ إِلَىٰ طُورِ سَيْنَاءَ ، فَكَلَّمَهُ رَبُّهُ وَنَاجَاهُ وَقَرَّبَهُ وَأَذْنَاهُ ، فَزَادَهُ ذَلِكَ

شَوْقًا فَقَالَ : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مُوسَىٰ لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ

يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] .

وَإِنَّ الْجِبَالَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْمِلَ كَلَامَهُ فَضْلًا عَنْ نُورِهِ .

﴿لَوْ أَرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُتَصِدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ .

[الحشر: ٢١٦]

﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَىٰ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ .

[الأعراف: ١٤٣]

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن

مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤] .

أَخَذَ مُوسَىٰ الْأَلْوَاحَ ، وَفِيهَا كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، مَوْعِظَةٌ

وَنَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ .

وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذَهَا بِقُوَّةٍ ، وَيَأْمُرَ قَوْمَهُ أَنْ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا .

وَلَمَّا وَصَلَ مُوسَى إِلَى السَّبْعِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالُوا فِي وَقَاحَةٍ وَجَسَارَةٍ :

﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ غَضِبَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْوَقَاحَةِ وَالْجُرْأَةِ ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .

وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يَتَحَمَّلُونَ هَذِهِ الصَّاعِقَةَ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ ، فَكَيْفَ يَتَحَمَّلُونَ نُورَ اللَّهِ .

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ وَقَالَ : ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَائِي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥] !؟

وَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ وَبَعَثَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ .

﴿ ١٥ ﴾ العجل

وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعِيشُونَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي مِصْرَ مُنْذُ قُرُونٍ .

وَكَانَ الْأَقْبَاطُ يَعْبُدُونَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فِي مِصْرَ ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَرُونَ ذَلِكَ بَعِيُونِهِمْ .

وَزَالَتْ مِنْهُمْ كَرَاهَةُ الشُّرْكِ ، وَتَسَرَّبَ إِلَيْهِمْ حُبُّهُ كَمَا يَتَسَرَّبُ الْمَاءُ إِلَى بَيْتٍ وَاهِنٍ عَتِيقٍ .

وَكَانُوا كُلَّمَا وَجَدُوا فُرْصَةً انْحَدَرُوا إِلَى الشُّرْكِ ، كَمَا يَنْحَدِرُ الْمَاءُ إِلَى الْحُدُورِ .

وَزَاغَتْ قُلُوبُهُمْ وَفَسَدَ ذَوْقُهُمْ ، فَإِنْ يَرُوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرُوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا .

جَازُوا الْبَحْرَ : ﴿فَاتَوَّأ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] .

وَعَضِبَ مُوسَى وَقَالَ : ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾ .
يَا لِلْعَجَبِ ، يَا لِلظُّلْمِ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَفَضَّلَكُمْ ، وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ .

﴿ قَالَ أَعِيرَ اللَّهُ أَنْعِيمَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

[الأعراف: ١٤٠]

سَارَ مُوسَى إِلَى الطُّورِ ، وَغَابَ عَنْهُمْ أَيَّامًا فَكَانُوا صِيْدَ الشَّيْطَانِ ، وَفَرِيْسَةَ الشُّرْكِ .

قَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ السَّامِرِيُّ : ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارِفٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [الأعراف: ٨٨] .

وَفَتِنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِهَذَا الْعِجَلِ ، وَخَرُّوا عَلَيْهِ ضُمًّا وَعُمِيَانًا .

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: ٨٩] .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْتُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٨] .

وَنَهَاهُمْ هَارُونُ عَنْ ذَلِكَ وَاجْتَهَدَ وَقَالَ :

﴿ يَفْقَهُمْ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ [طه: ٩٠] .

وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا مَفْتُونِينَ بِسِحْرِ السَّامِرِيِّ ، وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجَلَ فَقَالُوا :

﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ [طه: ٩١] .

١٦. العقاب

وَلَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ، رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ
غَضَبَانَ أَسْفًا .

وَعَضَبَ عَلَى قَوْمِهِ ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَى أَخِيهِ هَارُونَ .

﴿ قَالَ يَهْرُونَ مَانَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ [طه: ٩٢] .

وَاعْتَدَرَ هَارُونَ وَقَالَ : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴾ [طه: ٩٤] .

﴿ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ﴾ .

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

ثُمَّ التَفَتَ مُوسَى إِلَى السَّامِرِيِّ وَقَالَ : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ ﴾ .

[طه: ٩٥]

وَاعْتَرَفَ السَّامِرِيُّ بِجُرْمِهِ وَقَالَ : ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ [طه: ٩٥] .

﴿ قَالَ فَأَذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ ﴾ [طه: ٩٦] .

وَعَاقَبَهُ مُوسَى بِالْإِنْفِرَادِ ، يَمْشِي وَحْدَهُ ، وَيَعِيشُ وَحْدَهُ كَالْوَحْشِيِّ لَا يَأْلَفُ
وَلَا يُؤْلَفُ .

وَأَيُّ عِقَابٍ أَكْبَرَ مِنْ هَذَا !

إِنَّ الَّذِي نَجَسَ الْوُفَاً مِنَ النَّاسِ بِالشَّرْكِ ، يَجِبُ أَنْ يَتَقَدَّرَهُ النَّاسُ وَيَنْبُدُّوهُ .

إِنَّ الَّذِي فَرَّقَ بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ ، يَجِبُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

قصص النبيين للأطفال

إِنَّ الَّذِي دَعَا إِلَى الشُّرْكِ فِي أَرْضِ اللَّهِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ كُلُّهَا سِجْنًا لَهُ .
 ثُمَّ التَفَّتْ مُوسَى إِلَى الْعِجْلِ الْمَلْعُونِ ، فَأَمَرَ بِإِحْرَاقِهِ ثُمَّ نَفَضَهُ فِي الْبَحْرِ .
 وَرَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مَصِيرَ الْعِجْلِ الْمَعْبُودِ ، وَرَأَوْا ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ .
 ثُمَّ التَفَّتْ مُوسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ :

﴿يَعْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
 ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ [البقرى: ٥٤] .

وَكَذَلِكَ فَعَلُوا ، وَقَتَلَ الَّذِينَ لَمْ يَعْبُدُوا الْعِجْلَ الَّذِينَ عَبَدُوهُ ، وَهَكَذَا تَابَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ .
 وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ
 جَزَى الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] .

وَكَذَلِكَ عَبَادُ الْعِجْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَكَذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

١٧- جبن بني إسرائيل

نَشَأَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ فِي مِصْرَ ، وَعَلَى الذَّلِّ وَالْهَوَانِ وَشَبَّ عَلَيْهِ
 الْأَطْفَالُ وَشَابَ عَلَيْهِ الشَّبَّانُ ، وَبَرَدَ فِي عُرُوقِهِمُ الدَّمُّ .

وَأَصْبَحُوا لَا يَحْلُمُونَ بِسِيَادَةِ ، وَلَا يَتَحَدَّثُونَ بِعِزِّهِمْ وَلَا جِهَادِهِ .

كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ فِي الْعُرْبَةِ لَيْسَ لَهُمْ وَطَنٌ وَلَا حُكْمٌ .

فَارَادَ مُوسَى بِوَحْيِ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، وَيَسْكُنُوا فِيهَا مُلُوكًا
 أَحْرَارًا .

وَلَكِنَّ مُوسَى كَانَ يَعْرِفُ طَبِيعَةَ الْجِبْنِ وَالضَّعْفَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ .
فَأَرَادَ أَنْ يُشَوِّقَهُمْ وَأَنْ يَهْوَنَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ قَدْ
اسْتَوْلَى عَلَيْهَا قَوْمٌ جَبَّارُونَ ، أُولُو قُوَّةٍ وَأُلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ .
وَلَا يَدْخُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا هُوْلَاءِ
الْجَبَّارِينَ .

فَذَكَرَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمَا فَضَّلَهُمْ بِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ ، حَتَّى يَنْشَطُوا لِلْجِهَادِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ، وَحَتَّى يَكْرَهُوا هَذِهِ الْحَيَاةَ الذَّلِيلَةَ غَيْرَ اللَّائِقَةِ .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ
وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠] .

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَمَامَكُمْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، فَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَقُومُوا
وَتَنْتَرِعُوهَا مِنْ أَعْدَائِكُمْ .

وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا كَتَبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا وَقَدَّرَهُ لَهُ هَانَ عَلَيْهِ ، أَنْ يَأْخُذَهُ فَلَا رَادَّ لِقَضَاءِ
اللَّهِ .

﴿ يَنْقُورِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٢١] .

وَخَافَ أَنْ تَغْلِبَهُمْ طَبِيعَةُ الْجِبْنِ فَقَالَ :

﴿ وَلَا تَرْنُدُوا عَلَيَّ أَذْ بَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢١] .

وَوَقَعَ مَا كَانَ يَحْذَرُهُ مُوسَى ، فَكَانَ جَوَائِبُهُمْ عَلَى كُلِّ مَا قَالَ مُوسَى .

﴿ يَمْوَسِيَّ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا

مِنْهَا ﴾ [المائدة: ٢٢] .

وَقَالُوا فِي وَقَارٍ وَسُكُونٍ :

﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ .

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا

دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] .

وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُوَثِّرْ فِيهِمْ وَقَالُوا :

إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الدُّخُولِ فَادْخُلِ أَنْتَ بِمُعْجِزَةٍ ، فَإِذَا سَمِعْنَا أَنَّكَ قَدْ دَخَلْتَهَا ،

جِئْنَا فَدَخَلْنَا نَحْنُ أَيْضًا آمِنِينَ سَالِمِينَ .

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا

هَاهُنَا فَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] .

هَذَاكَ غَضِبَ مُوسَى وَيَسَسَ مِنْ هَؤُلَاءِ :

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ .

[المائدة: ٢٥]

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ

الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦] .

وَفِي هَذِهِ الْمَدَّةِ يَمُوتُ هَذَا الْجِيلُ الَّذِي نَشَأَ فِي مِصْرَ عَلَى الْعِبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ .

وَيَنْشَأُ جِيلٌ آخَرَ يَنْشَأُ فِي هَذَا التَّيِّهِ عَلَى الشَّدَّةِ وَالْعُسْرِ ، وَتِلْكَ أُمَّةٌ الْمُسْتَقْبَلِ

وَهَذَا هُوَ مِصِيرُ الْيَهُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ أُمَّةٌ تَأْتِيهِ تَعِيشُ عَلَى الْعِبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ .

١٨- في سبيل العلم

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قَامَ مُوسَى خَطِيْبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ :

أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟

فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ !

فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ .

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ عَبَّدَا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ .

قَالَ : رَبِّ كَيْفَ بِهِ ؟

فَقِيلَ لَهُ : أَحْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ « زَنْبِيلٍ » فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ تَمَّ .

فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، وَحَمَلًا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ حَتَّى كَانَ عِنْدَ

الصَّخْرَةِ ، وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا فَنَامَا .

فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا « مَسْلَكًا » وَكَانَ

لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا .

فَانْطَلَقَ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمِهِمَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ : آتِنَا غَدَاءَنَا

لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا « تَعَبًا » .

وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ .

فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ [الكهف: ٦٣] .

قَالَ مُوسَى : ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ﴾ [الكهف: ٦٤] .

﴿ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤] .

فَلَمَّا أَنْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسَّجِي « مُعْطَى » بِثَوْبٍ فَسَلَّمَ مُوسَى .

فَقَالَ الْخَضِرُ : وَأَنْى بَارِضِكَ السَّلَامُ ؟

فَقَالَ : أَنَا مُوسَى .

فَقَالَ : مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟

قَالَ : نَعَمْ !

قَالَ مُوسَى : ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ [٦٦] ﴿ [الكهف] ؟

قَالَ : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [٦٧] ﴿ [الكهف] .

يَا مُوسَى ، إِنى عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ ، عَلَّمْنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ ، لَا أَعْلَمُهُ .

قَالَ مُوسَى : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [٦٩] ﴿ [الكهف] .

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا .

فَعَرَفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا ، بِغَيْرِ نَوْلٍ « أَجْرَةٍ » .

فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ، فَفَرَّ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ مِنَ الْبَحْرِ .

فَقَالَ الْخَضِرُ :

يَا مُوسَى ، مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمِكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ ، إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ

فِي الْبَحْرِ .

فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَابِ السَّفِينَةِ ، فَزَرَعَهُ فَقَالَ مُوسَى :

قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ ، فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟

قَالَ الْخِضْرُ : ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٣﴾ [الكهف].
قَالَ مُوسَى :

﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ﴿٧٣﴾ [الكهف].
فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا .

فَانْطَلَقَا ، فَإِذَا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، فَأَخَذَ الْخِضْرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ ،
فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ .
فَقَالَ مُوسَى :

﴿أَقْنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤].

قَالَ : ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٥﴾ [الكهف: ٧٤] !؟

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أُنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا
جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ [الكهف: ٧٧].

قَامَ الْخِضْرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ .

فَقَالَ مُوسَى :

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿٧٧﴾ [الكهف].

فَقَالَ : ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [الكهف: ٧٨].

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقْصَّ عَلَيْنَا مِنْ
أَمْرِهِمَا» ^(١) .

(١) الجامع الصحيح للبخاري .

١٩- التاويل

ثُمَّ نَبَأَ الْخِضْرُ مُوسَى .

فَقَالَ : أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ، وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ « صَالِحَةً » غَضَبًا .

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ (٨٠)

[الكهف].

﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ (٨١) [الكهف].

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا

صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ [الكهف].

﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنِ أَمْرِئِ ذَلِكَ تَوِيلٌ مَالَهُمْ تَسْطَعُ عَلَيْهِمْ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢].

هُنَالِكَ عَرَفَ مُوسَى أَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِيطَ بِعِلْمِ اللَّهِ ، وَأَنَّ بَعْضَ عِلْمِهِ عِنْدَ بَعْضٍ وَبَعْضُهُ عِنْدَ بَعْضٍ ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

٢٠- بنو إسرائيل بعد موسى

وَتُوفِّيَ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ، عِقَابًا مِنَ اللَّهِ وَجَزَاءً أَعْمَالِهِمْ .

وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ .

إِنَّهُمْ قَدْ أَسْحَطُوا اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءَ ، وَجَعَلَهُمْ مُلُوكًا ، وَآتَاهُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ فِي عَصْرِهِمْ .

الَّذِي أَنْجَاهُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ ،
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ .

الذي فرَّقَ بِهِمُ الْبَحْرَ ، فَأَنْجَاهُمْ وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .

الذي ظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى .

الذي فَجَّرَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ عُيُونًا ، وَوَسَّعَ لَهُمْ فِي مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ .

وَكَانَ جَزَاءُ كُلِّ ذَلِكَ أَنْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَعَصَوْا وَاعْتَدَوْا .

وَأَغْضَبُوا نَبِيَّهُمْ مُوسَى أَشْفَقَ خَلَقَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَشْفَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ
وَأُمَّهَاتِهِمْ ، ذَلِكَ الَّذِي كَانَ يَحْنُو عَلَيْهِمْ حُنُوَ الْمَرْضِعِ عَلَى الْفَطِيمِ وَالْأُمِّ
الْحَنُونَ عَلَى الْيَتِيمِ ، ذَلِكَ الَّذِي سَبَّوهُ دَعَا لَهُمْ ، وَكَلَّمَا ضَحِكُوا عَلَيْهِ بَكَى لَهُمْ
وَكَلَّمَا جَفَوْهُ رَثَى لَهُمْ .

ذَلِكَ الَّذِي خَلَّصَهُمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ سِجْنِ مِصْرَ إِلَى بَرِّ
الْحُرِّيَّةِ وَالشَّرَفِ ، وَمِنْ حَيَاةِ الْعَبِيدِ الْأَشْقِيَاءِ ، إِلَى حَيَاةِ الْأَحْرَارِ الشُّرَفَاءِ .

قَدْ أَغْضَبُوهُ وَأَذَوْهُ وَعَانَدُوهُ ، وَسَخَرُوا مِنْهُ وَجَعَلُوهُ ، أَهْوَنَ رَجُلٍ فِيهِمْ ،
وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا .

أَلَا يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْعِقَابَ وَالْخِزْيَ وَالذُّلَّ وَالْمَسْكَنَةَ وَالْتِيَةَ الدَّائِمَ وَالْأَلَّا
يُفْلِحُوا أَبَدًا ؟

بَلَى ، إِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ وَأَكْثَرَ بِأَعْمَالِهِمْ : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .